الوثنية والأديان

الدكتور مصطفى عبده

الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة



الوثنية والأديان

الطبعة الثانية ـــ ١٩٩٩ م

مكتبة مدبولي ـ القاهرة

الوثنية والأديان

دكتور

مصطفى عبده

أستاذ الجماليات بجامعة النيلين

الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

انقسم العلماء في ظهور التدين إذ يرى فريق منهم أن الدين بدأ بالخرافة والوثنية ثم ترقى الإنسان على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال بالتوحيد. وعلى هذا الزعم تكون الأديان خرافة الخرافة أو أن العقيدة هو من اختراع الإنسان حيث تكون النتيجة المنطقية لذلك أن الإنسانية تجاوزت مرحلة الوثنية بترقيها للتوحيد فيمكن لها أن تترقى لتتجاوز مرحلة التوحيد أيضاً. وهذا ما يرمي له هؤلاء العلماء وهو بالتالي إلغاء لإله أو وحي أو رسل.

ولكننا نرى عكس ذلك فالتوحيد هو البدء ونستدل بذلك أن أول الموحدين هو آدم عليه السلام وهو أول إنسان أما الوثنية فهي أعراض طارئة وتحور عن الوثنية.

وكما سنرى نجد أن الأديان عند انحرافاتها مرت بأدوار ثلاثة من تحورها عن الوحدانية إلى وثنية، ومن توحيد إلى ثنوية فثالوث ثم وثنية، وكيف كانت مواجهة الأديان لتلك الوثنيات حتى كانت المواجهة الحاسمة في الإسلام وإخراج الإنسان من ذل

العبودية ليستظل بظل الألوهية تحقيقاً للربوبية الخالصة لله الواحد الأحد الفرد الصمد.

المقدمة

في البدء كان التوحيد وهي الكلمة الأولى التي علمها الله لآدم أبي البشر ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ حيث تلقى آدم عليه السلام الكلمات من ربه وانتقلت منه إلى أبنائه.

والوحدانية هي العقيدة الأولى، وعندما تضعف العقائد في النفوس، ويصيبها الانحراف، تتجدد الوحدانية بإرسال الرسل حتى كان الرسول الخاتم ﷺ.

وقد مرت الأديان في كل العهود بثلاثة مراحل: أولاً: دور العبادة النقية، ثم دور الرموز والطقوس، وثالثاً: دور الوثنية والأصنام. نجد هذه الأدوار في الديانات القديمة: (البرهمية والمصرية والإغريقية والكوشية والسامية) حتى العقائد المنزّلة أصابتها أمراض الوثنية: (الحنفية واليهودية والنصرانية).

وقد أبنًا (برهما) هو اسم للإله الموجود بذاته، والذي يستمد منه كل شيء وجوده، وقد اجتازت الأدوار الثلاثة من دور التوحيد إلى دور الكهنة والرموز إلى دور الوثنية، ونحتت له عدة أصنام على شكل تماثيل آدمية.

وقد دللنا على أن المصريين كانوا يعرفون الإله الواحد الذي لا

تصوره الرسوم؛ فالإله (أتوم) الخفي له معاني أخرى ظاهرة، فهو (رع) في العطاء، وفي بروزه كالشمس في (أمون)، وظهرت الثواليث المصرية في (أمون ـ رع ـ أتوم)، وثالوث أوزيري (أوزريس ـ إيزيس ـ حور)، وثالوث منفٍ (بتاح ـ نفرتم ـ سخمة)، وثالوث (منكاورع) في مقابل الثالوث الهندي (برهما ـ فشنو ـ شيفا)، والثالوث الصيني (تي بي ـ تشانج ـ الشمس)، وثالوث بلاد الرافدين (انكي ـ أثليل ـ ترقال)، وثالوث نبتة (أمون ـ موت ـ خنسو)، وثالوث مروى (خنوم ـ ساتيس ـ عنقت)، وثالوث النصرانية (الله ـ الابن ـ روح القدس)، وثالوث قريش (اللات ـ العزى ـ مناة). ويقول تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾[1]. وكان هذا التحول والتحور بدخول الوسطاء وهم الكهنة بين الرب والعباد. فقد أراد الكهنة هذا الانحراف لتستكمل السيطرة على الشعوب فشجعوا هذه الوثنية ورعوا الفن المستخدم في هذه الدعوة.

وقد صاغ المزاج اليوناني الآلهة في أشكال بشرية لكل ظاهرة إله معبود: فـ (فينوس) إلهة الحب والجمال، و (أبو للو) إله الموسيقى والكمال، و (مارس) إله الحرب والدمار، وآلهة كثيرة على جبل أولمب لكل رب اسمه وجنسه وعمله ونزواته.

وهذا كانت العقليات المنحرفة تجسم الآلهة في شكل أصنام معبودة؛ فظهرت الوثنية التي واجهتها الأديان منذ أن كان الإنسان.

---

(١) سورة النجم: آيتا ١٩، ٢٠.

والإنسان ذلك الإنسان العاقل الذي خلقه الله في أحسن تقويم وأحسن صورة، فلم يكن قرداً ولا شبيهاً بالقرد، بل هي افتراضات(١).

وفي هذه القضية يقول د. محمد سعيد البوطي: «تناقض نظرية

---

(١) في العهود الأولى للحياة الإنسانية أي العصور البلاستوسينية فقد وجد كائن ما بين الإنسان والقرد، وجد في جنوب إفريقيا وأخدود شرق إفريقيا، وأطلق عليهم العلماء القردة الجنوبية (Astralopithecus)، وهو منتصب القامة استعان بأدوات طبيعية وآوى للكهوف وقد عاش ما بين (٥٠٠,٠٠٠ ـ ٢٥٠,٠٠٠ سنة ق. م.) وتبعه الإنسان المعتدل (Home Erectus) الذي سكن الكهوف واستخدم الآلات الحجرية، وقد وجد في بكين وجاوة وسنغافورة وسنجة وعاش فيما بين: (٢٥٠,٠٠٠/ ١٠٠,٠٠٠ ق. م.) ومن ثم ظهر إنسان نايندارتال (Neandartal)، والكروماقنون (Cro-Magnon)، والذي بنى منازل وصنع الأدوات من الحجر والطين والخشب، وجد في جنوب أوروبا وشمال إفريقيا. عاش فيما بين: (١٠٠,٠٠٠ ـ ٣٠,٠٠٠ ق. م)، وأخيراً ظهر الإنسان الحكيم أو العاقل.

ولكن هذا الافتراض ظني، وقد وجدت مثل هذه الكائنات الشبيهة بالإنسان أو بالأصح وجدت جماجمها وعظامها ـ ربما تكون لكائنات غير بشرية، وانقرضت كما انقرضت الديناصورات ـ فليس هناك تأكيد بأن هذه الكائنات هي السلالة الأولى للبشرية.

* انظر الشكل رقم (١٨)، حيث رسوم الإنسان الأول لنفسه على جدران الكهوف، وقد وجدت تلك الرسومات في كهوف إسبانيا وفرنسا وشمال وجنوب إفريقيا وجنوب شرق آسيا وقد تمت هذه الرسومات في العهد النيوليثي أي العصر الحجري قبل ٣٠,٠٠٠ سنة.

النشوء والارتقاء الحقيقة الثابتة عن أصل الإنسان. فنظرية (دارون) ما هي إلا حلقة من سلسلة نظريات متلاحقة ومتناسخة، وقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وقد خلق آدم وخلق فيه الإدراك وعلمه البيان والتعبير عن الأشياء بما ألهمه من أشياء»[١].

ورسومات الإنسان الأول لنفسه على جدران الكهوف[٢] أو المنحوتات التي نحتها تثبت قولنا بأن الإنسان الأول كان معتدل القامة، ولم يكن قرداً ولا شبيهاً بالقرد، بل كان شبيهاً بالإنسان المعاصر. يظهر لنا ذلك من خلال ما خلفوه لنا من رسومات رسموها لأنفسهم[٣] والفن خير دليل على تحديد ملامحهم، وإثبات شخصياتهم، والتي أبرزوها في شكل رسومات ومنحوتات ونقوش تركوها على جدران الكهوف، وعلى العظام والحجارة والخشب والفخار.

والفنون نتاج تلك الحضارات وإبداع الشعوب وفيه تسجيل لتاريخهم.

والفن أصدق منبىء عن التاريخ فكم من أسرار دفنت في ظلمات التاريخ، وبقي الفن شاهداً على تحضّر الإنسان؛ لأنه تعبير تلك الشعوب عن نفسها بنفسها[٤].

---

(١) كبرى اليقينات الكونية ـ ص ٢٣٢ ـ ٢٩٠.

(٢) نعني بالإنسان الأول هو الإنسان القديم الذي سكن الكهوف ـ أما أول إنسان فهو آدم عليه السلام.

(٣) انظر الشكل رقم (١).

(٤) راجع مواجهة الإسلام للوثنية في الفصل الثالث من الباب الأول تحت عنوان (العقيدة إلهية).

شكل رقم (١)

رسوم الإنسان الأول لنفسه على جدران الكهوف

وجدت هذه الرسوم في كهوف إسبانيا وفرنسا وشمال إفريقيا مما يؤكد بأنه لم يكن قرداً ولا شبيهاً بالقرد ـ العصر النيوليثي (Neolithic) من قبل ٣٠,٠٠٠ سنة.



الفصل الأول

ـ ١ ـ

مفهوم الأوثان والأصنام

يُعرف الصنم في المعاجم والتفاسير بأنه هو ما اتخذ إلهاً من دون الله، ويفرق المؤرخون بين الصنم والوثن فيقولون: الصنم ما كان له جسم ويصنع من الحجر أو الخشب أو المعدن، أما الوثن فيكاد يرادف الصورة أو الرسم. ويضيفون بأن الصنم كلمة أعجمية الأصل مشتقة من كلمة (شتم)، غير أنهم لا يحددون اللغة السامية التي اشتقت منها هذه الكلمة ـ ولعلها كلمة آرامية دخلت البادية العربية.

ونجد أن الصنم في لسان العرب بمعنى الوثن: وهو الصنم واحد الأصنام ـ يقال أنه معرب (شمن) وهو الوثن ـ قال ابن سيده: وهو ينحت من الخشب ويصاغ من فضة ونحاس والجمع أصنام. وقد تكرر في الحديث ذكر الصنم والأصنام، وهو ما اتخذ إلهاً من دون الله. وقيل هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن.

وروى أبو العباس: الصنمة والنصمة الصورة التي تعبد، وفي

التنزيل العزيز: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾.

قال ابن عرفة: ما اتخذوه من آلهة، فإن كان على غير هيئته فهو وثن، فإذا كان له صورة فهو صنم.

وقيل في الفرق بين الوثن والصنم: إن الوثن ما كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة ينحت ويعبد. والصنم الصورة بلا جثة، ومن العرب من جعل الوثن المنصوب صنماً، وروي عن الحسن أنه قال: لم يكن حي من أحياء العرب إلاّ وله صنم يعبدونه[1].

ونجد في دائرة المعارف الإسلامية: «إن كلمة (صنم) من الكلمة العربية (صلم) بمعنى: الصورة أو التمثال استدلالاً بما جاء في النقوش الآرامية التي عثر عليها في (تيماء)، ومفادها أن هناك إلهاً يدعى (صلم)»[2].

ويقول البستاني: «إن كلمة صنم معرّبة من كلمة (شمن) الفارسية»[3].

والصنم في المنجد: «الصنم: جمع أصنام ـ كل ما عبد من دون الله أو كل ما يعبده الوثنيون من صورة أو تمثال ـ (فارسية)، وقيل (آرامية) أو (عبرانية)»[4].

وأن استغراق الصوفية في العبادة وحبهم لها دفع بعضهم إلى

---

(١) لسان العرب ـ ابن منظور ـ دار صياد ـ بيروت ـ ج ١٣ ص ٣٤٩.
(٢) دائرة المعارف الإسلامية ـ ج ١٤ ص ٣٥٦.
(٣) محيط المحيط ـ ص ١٣١٧.
(٤) المنجد في اللغة العربية ـ الطبعة الحادية والعشرون ـ ص ٤٣٨.

تسمية كل ما يشغل العبد عن الرب صنماً، علماً بأنه يستدل من وصف الأصنام التي عبدها العرب في الجاهلية أن كلمة صنم عندهم كانت تطلق على أشياء مختلفة في طبيعتها كل الاختلاف، حيث إنها كانت تماثيل منحوتة مثل: (هبل ـ أساف ـ نائلة) وغيرها من الأصناف الأخرى المحيطة بالكعبة، وكان البعض الآخر اسماً لمجرد أحجار مثل: (اللات ـ مناة ـ ذو الخلص ـ سعد)، وكانت (العزى) على هيئة شجرة.

وكان الساميون يعبدون الحجارة بوجه عام، بينما العرب أيام وثنيتهم يعبدون كل حجر يتميز في شكله أو لونه.

هذا، وترد كلمة (صنم) خمس مرات في القرآن الكريم، وذلك على النحو التالي: يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾[١].

ويقول تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[٢].

وقال المولى جل جلاله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[٣].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٣٨.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٥.

وقال عزَّ اسمه: ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ ﴾[1].

ويقول جل جلاله: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2].

أما عن الأنصاب والأزلام فيقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[3].

والدارس لموقف العرب من الأصنام يلاحظ أنهم لم يكونوا قانعين بإقامة هذه الحجارة أصناماً لهم، بدليل أن كلمة صنم عندهم لا تدل على إله إنما تدل على رمز.

يقول ابن الكلبي: «كل ما ورد من إشارات للأصنام في الأشعار التي تُنسب إلى شعراء الجاهلية يمكن حصرها في أبيات زيد بن عمرو بن نفيل، وأبيات راشد بن عبد الله السلمي، وعبيد بن الأبرص الذي ينسب إليه قوله:

فَتَبَدَّلُوا اليَعْبُوبَ بعد إلههمْ صنماً تَقَرُّوا يا جَدِيلَ وأَعذِبوا[4]

وإذا ما تجاوزنا ما تقدم نجد أن الأصنام أسماءاً كثيرة ذكر

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٧١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٥٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩٠.

(٤) الأصنام ـ ابن الكلبي ـ ص ٣١. إلاّ أنه ينقض زعم ابن الكلبي قول امرىء القيس في الأصنام: (عذارى دوار في ملاء مذيل). والدوار اسم صنم عبده العرب.

بعضها في القرآن الكريم وبعضها الآخر في الكتب العربية القديمة والمصادر التاريخية.

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾[١].

ويتفق المؤرخون أن أشهر الأصنام التي كانت لا تزال في الحجاز على عهد النبي ﷺ هي: (العزى ـ واللات ـ ومناة)، ثم (هبل) الذي كان أشهرها جميعاً.

أما الأنصاب فجمع نصب، وهو الاسم الذي تنطوي تحته المسميات جميعاً؛ فيما يرجع كل الأصنام المختلفة من حيث هي آلهة لها سدنة خاصة بها، والسادن اسم المنصب الوراثي في أغلب الأحوال، ومهنة تقبل القرابين التي يتقرب بها المتعبدون، وإقامة شعيرة الذبح وتلطيخ الصنم بدم الذبيحة، وهذه الذبائح لم تكن متواصلة وإنما كانت تقام مرة أو مرتين في العام.

«وقد استغلت بعض هذه الأصنام في أغراض شتى، (فذو الخلص) كان قطعة من الرخام الأبيض، وقد عبده الناس في (تبالة) وهو موضع في الطريق بين مكة واليمن، وقد استخدم في زمن ابن الكلبي (حوالي ٢٠٠ هـ)، وهو عتبة باب مسجد تبالة، وقد استخدمت أحجار أخرى كانت من قبل أصناماً تعبد كأحجار في زوايا الأبنية»[٢].

---

(١) سورة نوح: الآية ٢٣.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ـ ج ١٤ ص ٣٥٨.

«والنصب جمعه أنصاب، وهو كل ما جعل علماً على ما عبد من دون الله، وقيل هي الأصنام، وقيل غيرها؛ فالأصنام منقوشة ومنحوتة، والأنصاب بخلافها، والأنصاب حجارة حول الكعبة تنصب عليها ويذبح»[1].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾[2].

وقد ذكر النصب في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾[3].

«وكان العرب يقربون للأصنام بنحر الذبائح، ومنها: (أساف ـ ونائلة)، وكانا قائمين عند الصفا والمروة، وكان الأول على هيئة رجل، والثاني على هيئة امرأة، أما (سعد) فكان صخرة طويلة قائمة بساحل جدة، وعبده بنو ملكان، و (سواع) عبدته هذيل، و (العزى) أعظم أصنام قريش وكانت قائمة بوادي (نخلة) على هيئة شجرة»[4].

و (اللات) كانت صخرة مربعة بالطائف في موضع منارة مسجد الطائف اليوم، وبها سمى العرب عبد اللات وتيم اللات.

---

(١) لسان العرب ـ ج ١ ص ٧٥٩.
(٢) سورة المائدة: الآية ٩٠.
(٣) سورة المائدة: الآية ٣.
(٤) تاريخ الكعبة ـ د. علي الخربوطي ـ دار الجيل ـ ص ٣٧.

و (مناف) كانت على ساحل البحر بين مكة والمدينة عبدتها الأوس والخزرج وغسان. و (نسر) عبدته حمير. و (هبل) أعظم الأصنام وأشهرها كان قائماً في الكعبة وهو من عقيق أحمر، وكان العرب يأتونه إذا اختصموا في أمر أو أزمعوا على سفر أو عمل، ويستقسمون عنده بالقداح ـ و (ود) عبدته همدان ومذحج وغيرها من القبائل اليمنية»[١].

«أما الوثن: فهو الصنم وما له جثة من خشب أو حجر أو فضة أو جوهر، وكانت العرب تنصب الأوثان وتعبدها، وهو مأخوذ من الوثن، وينسب إليه من يتدين بعبادته على لفظه؛ فيقال رجل وثني، وقوم وثنيون، وامرأة وثنية، ونساء وثنيات»[٢].

وقد ذكرت الأوثان في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[٣]. وكذلك في قوله تعالى: ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾[٤].

أما الأزلام فهي القداح وهي سهام كانت العرب تستقسم بها في الجاهلية، وكانت ثلاثة مكتوب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الثانية: نهاني ربي، أما الثالثة: فغفل من الكتابة. وكان الرجل

---

(١) الأصنام ـ الصفحات ١٣ ـ ١٥.
(٢) الموسوعة العربية الميسرة ـ دار العلم ـ فرنكلين ـ ص ١١٣٣.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ١٧.
(٤) سورة الحج: الآية ٣٠.

منهم إذا أراد سفراً أو زواجاً أو خروجاً لغارة أتى بيوت الأصنام المؤلهة مستخيراً سدنتها على ما قسم له من قتال أو سفر أو نحوها، فإن خرج له السهم الآمر: أقدم على ما هم به من أمر لا يلوي على شيء. وإن خرج له الناهي: أحجم وأمسك. أما إذا خرج الغفل: فكان من أمرهم أن يجيلوا القداح مرة ومرات حتى يخرج لهم الآمر أو الناهي.

يقول جل جلاله بعد أن ذكر ما حرم على عباده من الأطعمة في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾[1].

أما بيوت الأصنام فهي كثيرة، ومنها ما عدَّها الشهرستاني في الملل والنحل:

١ ـ **بيت فارس**: على رأس جبل بأصفهان كانت فيه أصنام إلى أن أخرجها (كشتامب) وجعله بيت نار.

٢ ـ **مولتان**: معبد في أرض الهند فيه أصنام لم تغير.

٣ ـ **بيت سدوسان**: معبد بأرض الهند.

٤ ـ **التنويهار**: الذي بناه (منوجهر) بمقربة من بنخ على اسم القمر ـ وعند ظهور الإسلام خربه أهل بنخ.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

٥ ـ بيت غمدان: الذي بمدينة صنعاء باليمن بناه الضحاك على اسم الزهرة وخربه عثمان بن عفان.

٦ ـ بيت كاوسان: بناه (كاووس) على اسم الشمس بمدينة فرغانة وخربه المعتصم»[1].

* * *

(١) الملل والنحل ـ للشهرستاني ـ ص ٥٧٥.

- ٢ -

كيف تحورت عبادة التوحيد إلى الوثنية

عقيدة الوحدانية هي الأصل، وما الوثنية إلا خروج عنها؛ فالوثنية كالأمراض الدخيلة. ولم تتطور العقائد بتطور معتقدات قديمة نابعة من الأساطير، إنما تحورت الوثنية عن الوحدانية. ولم تتطور الوثنية بل هي تبدلت عن الوحدانية. ولتأكيد ما قلناه فلا بد من تتبع الوثنية من بدايتها في العهود:

أولاً: دور التوحيد والعبادة النقية ـ حيث كان يعبد الله وحده دون شريك أو وسيط.

ثانياً: دور الرموز والطقوس.

ثالثاً: دور الأصنام والشرك الظاهر والخفي.

فالدور الأول: دور العبادة النقية، والقوة المؤسسة على صريح الحق، ونقاء العبادة من الشوائب والغايات والمدنسة لها عن طريق الوحي والإلهام وصوت الفطرة.

والدور الثاني: وهو وضع الحقائق خلف الستور والحجب لكي تظل الشعوب دائماً تحت تأثير السرية الكهنوتية، وسيطرة الكهنة.

والدور الثالث: هو طور الفتور الديني، وظهور الشرك في ضروبه ودروبه الخفية المستترة والظاهرة الواضحة.

فالدين كان توحيداً وآدم أول الموحدين ـ إنما الكهنة دخلوا وسطاء وأوصياء على الدين، وحجبوا العلوم والأسرار عن الشعوب ومدُّوهم بطقوس رمزية تدل على هذه الحقائق من وراء الأستار للسيطرة على الشعوب روحياً فكان التثليث والتاسوع، ثم تعددت الآلهة.

فالديانات القديمة في الهند والصين ومصر أخذت من بعضها، ولها سمة التوحيد الخالص باطناً، ثم الرموز بالشرك ظاهراً، وبعبادة قوى الطبيعة أو مظاهرها كالشمس، أو عبادة الأرواح والأشخاص والحيوانات والجمادات، وقد صنعوا لها التماثيل والأصنام التي كانت تشخيصاً حسياً.

وأورد هنا بعض أقوال العلماء والفلاسفة الذين يقرون أن الديانات الوضعية ما هي إلا اختراع بشري، يقول (فولتير): «إن فكرة التأليه اخترعها دهاة ماكرون من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من صَدَّقهم من الحمقى والسخفاء»[1].

ولكن هذا القول بجانب الحقائق العلمية والتاريخية، والقول الصحيح في هذا: إن فكرة الوثنية إنما اخترعها دهاة ماكرون من الكهنة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسفهاء لتكتمل سيطرتهم على الشعوب روحياً وسياسياً.

---

(١) الدين ـ د. محمد عبد الله دراز ـ ص ٨٠.

أما (روسو) فيقول: «إن الأفراد الذين وضعوا أيديهم على خيرات البلاد وضعوا تلك القوانين ليخدعوا بها الجمهور»[1].

يصدق هذا القول بعد الذي جرى في أصل الديانات قبل الإسلام من انحراف، وهي في دورها الثاني، ويصدق ذلك على أوروبا في ذلك الوقت؛ للانحلال الخلقي عند نفر من رجال الدين، وكذلك ظلم القوانين الوضعية ومساندة رجال الدين لها.

ويقول د. دراز: «بأن الدين وضع إلهي سائغ لذوي العقول السليمة بأخيارهم إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل»[2].

ونوجز هنا بعض التعريفات الغربية عن الدين[3].

«يقول (شيشرون) في كتابه (عن القوانين): الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله».

«ويقول (كانط) في كتابه (الدين في حدود العقل): «الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلٰهية».

ويقول (سبنسر) في كتابه (المبادىء الأولية): الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية ـ هو العنصر الرئيسي في الدين».

ويقول (تايلور) في كتابه (المدنيات البدائية): «الدين هو الإيمان بكائنات روحية».

---

(١) الدين ـ ص ٨٠. روسو عالم فرنسي له أثره الفعال في الثورة الفرنسية.
(٢) المصدر نفسه ـ ص ٣٤.
(٣) المصدر نفسه ـ ص ٣٤ ـ ٣٥.

ويقول (ماكس ميلر) في كتابه (نشأة الدين ونموه): «الدين هو تصور ما لا يمكن تصوره، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه؛ هو التطلع إلى اللانهائي، وهو حب الله»[1].

وتلك التعريفات آنفة الذكر حصرت مفهوم الدين في نطاق الأديان الصحيحة المستندة إلى الوحي السماوي، وهي التي تتخذ معبوداً واحداً ـ هو الخالق المهيمن على كل شيء ـ أما الديانات الوضعية المستندة إلى محض العقل، والديانات الخرافية التي هي وليدة الخيالات، وكل ديانة تقوم على عبادة التماثيل، أو الإنسان أو الجمادات، أو الكواكب، أو كائنات أخرى مثل الملائكة والجن فتخرج بتلك التعريفان عن أن تكون ديناً.

وليس المطلب هو تحديد الدين الصحيح فحسب، بل الدين من حيث هو دين في مختلف صوره ومظاهره. مع أن القرآن الكريم سماها كذلك في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾[2].

والحق أنه ليس هنالك جماعة إنسانية ظهرت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه، ودون أن تتخذ لها رأياً معيناً حقاً كان أم باطلاً؛ تصور به القوة التي تخضع لها هذه الظواهر في نشأتها، والحال الذي تصير إليه الكائنات الحية بعد تحولها.

---

(١) شيشرون: خطيب روماني. كانط: فيلسوف ألماني. سبنسر: عالم اجتماع. تايلور: عالم أنثربولوجي (Anthropology) علم دراسة الأجناس. ماكس ميلر: عالم اجتماع.

(٢) سورة الكافرون: الآية ٦.

والمتدين يهدف بتقديس حقيقة خارجة عن الأذهان، وإن كانت تعبر عنها الأذهان، ثم إن هذا التقديس الديني ليس تقديساً لذات أياً كانت؛ إنما هو تقديس لذات بها صفات خاصة، وأهم مميزاتها أنها ليست مما يقع عليه حس المتدين، ولا مما يدخل في دائرة مشاهداته، وإنما هي شيء غيبي؛ لا يدركه الإنسان إلا بعقله ووجدانه، وأن لها خاصة الإيمان بالغيب؛ أي بما وراء الطبيعة، وإن هذا التقديس الديني هو تأليه وعبادة، وإن موضوعه إله معبود.

ويقول (برجسون): «لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة»[1].

وإنه ليس على وجه الأرض قوة تكافىء قوة الدين أو تدانيها في كفالة واحترام القوانين، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نطاقه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه.

فالذي يؤدي واجبه رهبة من قانون، لا يلبث أن يهمله متى ما اطمأن إلى أنه سيفلت من طائلة القانون؛ ولكن العقيدة والإيمان يضبطان المجتمع في السر والعلن؛ ولهذا كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة. فهو بذلك ضرورة اجتماعية كما هو فطرة إنسانية.

* * *

---

(١) الدين ـ ص ٨٣.

الفصل الثانـي

الوثنيـة وأدوارهـا

تمر الأديان في العصور بثلاث مراحل ـ أولاً: دور العبادة النقية، ثم دور الرموز والطقوس، وثالثاً: دور الأصنام. وتأكيداً لحقيقة أن عبادة التوحيد الخالصة كانت في البدء، ثم الوثنية دخيلة على عبادة التوحيد، فإننا سنستعرض الأديان عبر العصور من الديانة البرهمية إلى الإغريقية والمصرية والكوشية وفي الجزيرة العربية.

الديانة البرهمية:

نجد في الديانة البرهمية أن (برهما) سباتي أو (زيوس) الخفي اسم للإله الموجود بذاته، ويستمد منه كل شيء وجوده، ويعد ـ عند البراهمة ـ أنه الأصل لكل كائن، ولا تدركه الحواس، وقد يدرك العقل بعض صفاته.

وقد اجتازت البرهمية هذه الأدوار ابتداء من دور التوحيد الخالص وهو دين قدماء الهنود الذين انحدروا عن الأصل السامي نسبة إلى سام بن نوح مصلحهم ومرشدهم ووارث دين التوحيد عن أبيه.

أما الدور الثاني فهو دور الكهنة البرهميين، ودور الرموز والطقوس، وفيه نشأ الثالوث الهندي (برهما ـ فشنو ـ شيفا).

أما الدور الثالث وهو دور الشركْ والوثنية ونحت الأصنام «فاسم برهما هو اسم الله عزّ وجلّ في اللغة الهندية (السنسكرتية)، لا كما يظن الأوروبيون أنه اسم لمؤسس الديانة الهندوكية ـ فبرهما عند الهنود الأصليين هو الإله الموجود بذاته لا تدركه الحواس وقد يدركه العقل»[1].

فكان نشوء الثالوث الهندي ـ فبرهما هو الإله الخالق، و (فنشو) القوة الحافظة وهو الإله الحامي للحقيقة، أما (شيفا) فهو القوة التي تفني الأحياء أي القوة المحولة، وعرفت الروح بأنها روح الكائن الأزلي، ومن ثم اتجهت إلى التقمص والتناسخ.

أما الديانة البوذية المشتقة من الفلسفة الأصلية للديانة البرهمية فلا تشير إلى خالق سوى (النرفانا)[2].

والديانة البرهمية والبوذية والكلدانية والزرادشتية تقول بتقمص الأرواح أو تناسخها بعد الموت.

ويقول محمد أبو زهرة عن العقيدة البرهمية أنها كانت عبادة توحيد: «يقسم أبو الريحان البيروني البراهمة بالنسبة لاعتقادهم في البرهمة إلى خاصة وعامة ـ ويفترض أن الخاصة موحدون وغيرهم وثنيون ـ وهو يقول في هذا المقام إنما اختلف اعتقاد

---

(١) الدين المقارن ـ محمود أبو الفيض ـ دار نهضة مصر ـ ص ٥١.
(٢) النرفانا: معناها المطلق أو الأصل أو التسامي؟.

الخاص والعام في كل أمة بسبب أن طباع الخاصة تنازع المعقول، وتقصد التحقيق في الأصول، وطباع العامة تقف عند المحسوس وتقنع بالفروع، ولا تروم التوفيق، وخاصة فيما أفتت فيه الآراء ولم تتفق عليه الأهواء»[1].

ومنشأ الوثنية في الديانة البرهمية أنهم كانوا يعبدون القوى المؤثرة في الكون وتقلباته ـ في زعمهم ـ ثم لم يلبثوا أن جسدوا تلك القوى، بأن اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام؛ فعبدوا الأصنام لحلولها فيها، وتعددت الآلهة ووصلت الثلاثين.

وهذه الآلهة لها ثلاثة أقانيم (برهما ـ فشنو ـ شيفا) تتجسد في إله واحد، هو الروح الأعظم، واسمه بلغتهم (أنما).

ويعتقد الهندوس بأن الآلهة حلت في إنسان اسمه (كرشنه)، وهو حلول اللاهوت في الناسوت، وهو ما عبر عنه النصارى بالمسيح، وعند الموازنة بين أقوال الهنود في (كرشنه)، والنصارى في المسيح؛ نجد التقارب في الاعتقاد؛ حتى أوشكت أن تتطابق، ويمكن للتحقيق الرجوع لكتاب الإمام أبو زهرة[2].

ويقول محمد عبد الواحد: «وتبدو فكرة التوحيد واضحة كل الوضوح في شرحين من شروح الفيدا ـ هما: اليوبانشاد والفيدانتا»[3].

---

(١) الديانات القديمة ـ أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ـ ص ٢٤.

(٢) يمكن الرجوع لكتابه الديانات القديمة ـ الصفحات من ٣٠ إلى ٤٢.

(٣) الأسفار المقدسة ـ د. محمد عبد الواحد وافي ـ ص ١٦٤. اليوبانشاد=

وعليه يمكن تلخيص الأدوار التي مرت بها الديانة البرهمية، التي كانت في أصلها على ما يبدو من نصوص أسفارها ديانة توحيد مشوبة بعقائد وحدة الوجود، وتناسخ الأرواح، ثم كان الثالوث الهندي؛ فالإله (فشنو) هو الحافظ، (وشيفا) هو المدمر، وأما (برهما) فهو الأصل، وقد أدى وظيفته في الخلق، ثم سرت منه القداسة إلى الإنسان، والجمادات، وبعض الحيوانات؛ وخاصة (البقرة) التي قدست لدرجة العبادة.

وكما سرت منهم عبادة الأصنام التي .ترمز إلى الآلهة أو الملائكة أو الكواكب، وقد تفننوا في صنعها، ووضعت لها المقاييس المختلفة باختلاف ما ترمز إليه.

وإن الآثار الدينية القديمة في الصين تدل على أن الصينيين كانوا قديماً يعتقدون بوجود إله واحد. . لا تدركه الأبصار، عرشه السماء، ومقاليد الأرض بيده، فاكتفوا بقولهم: إن إله السماء كائن عظيم، يحب الخير ويكره الشر، ويجازي الناس على أعمالهم.

وكان الحكيم (كونفوشيوس) يقول: بوجود إله واحد، يدبر الكون بحكمته، وأنه يجب أن يعبد دون سواه. ولكنه لم ينكر عليهم إقامتهم الشعائر الدينية وتقديم القرابين لأرواح أسلافهم، وقوى الطبيعة المتعددة، ولكنه دعاهم إلى سبيل الحقيقة بالحكمة والموعظة الحسنة.

= والفيدانتا شرحين من شروح الفيدا، وهو الكتاب المقدس لدى البراهمة.

وذلك هو عالم الواجب، وهو الباب الذي يصل منه الإنسان إلى السعادة وهو سبيل الواجب، وبعد وفاته أجمع الصينيون على عبادته وتقديس كتبه[1].

ثم ظهر الثالوث الصيني وهو (تي بي)، أو الإله الخفي غير المنظور، (وتشانج) أي أرواح الآباء والملوك والحكماء، ثم (الشمس) وكواكبها ومظاهر الآلهة من الأرواح وكائنات الطبيعة.

أما (بوذا) فلم يدع لإله؛ لوجود الشر والألم، وفي نفس الوقت لم ينف الإله، لأن أدلة النفي أصعب من أدلة الإثبات؛ إلا أن قومه عبدوه بعد موته، وصنعوا له التماثيل الكثيرة بأنواع مختلفة من الحجارة والحديد والذهب. ويعبده البذويون الآن.

أما الكلدانيون فكانوا حلقة الوصل بين مصر والفرس؛ لأنهم أخذوا عن المصريين عبادة الشمس وسائر النجوم، وكان أكبر الأصنام عند الكلدان للشمس؛ وسموه (بعل) الذي كان عند المصريين باسم (آمون)؛ كما عبده الفرس باسم (عشتروت).

* * *

---

(١) الدين المقارن ـ لأبي الفيض ـ ص ٩٩. وكتب كونفوشيوس الثلاثة هي:
١ ـ مختارات كونفوشيوس.
٢ ـ تعاليم البالغين.
٣ ـ الاعتدال.

من أُلِّهو بالهند والصين واليابان وفارس

برهما: زعموا أنه هو الخالق للعالم وروح غير مشخص في صفاته ـ احتوى كل شيء وكمن فيه كل شيء، وهو روح العالم لا تدركه الحواس، وخلق (مانو) أول البشر ـ ومن أول البشر خلقت البشرية وهو القوة الخالقة في الطبيعة ـ وأول الثالوث الهندي.

فَشْنو: إله الحب ـ وهو ثاني الثالوث الهندي ـ وهو الحافظ وله زوجة اسمها (لاكشمن).

شيفا: إله الطبيعة والفنون والمعرفة والرقص والجمال والخير، وله أربعة أذرع، وخمسة وجوه، وثلاثة عيون، وهو ثالث الثالوث الهندي ـ وهو إله التدمير ـ وله زوجة تسمى (شاكتي).

كالي: وهي (شاكتي) زوجة (شيفا) ولها أياد عدة.

جانيس: ابن (شيفا) على شكل فيل.

البقرة: أكثر الحيوانات المقدسة عند الهندوس.

بوذا: أُلِّه بوذا بعد موته، وصنعت له تماثيل عديدة.

تشانج تي: القوة العليا المسيطرة على العالم عند الصينيين، أما

الإله الأعلى عندهم فاسمه (تيان) أي السماء.

نُوكْواش: إله الأرض ومنقذه ـ الذي أقام أعمدة السماء على شكل أفعى.

دَاو: هو الحقيقة والبداية العظمى لجميع الأشياء في العالم، ودينهم (الداوية)، وصاحب هذه الدعوة هو (لاوتس).

بَتراسو: ربة الشمس في اليابان.

كوانون: ربة الرحمة في اليابان.

الميكادو: حفيد ربة الشمس اليابانية.

ميترا: إله الشمس عند الفرس.

اهورامزدا: إله النور والخير.

أهرمان: إله الشر والظلام[1].

* * *

(١) الدين المقارن ـ ص ١٠٨؛ مقارنة الأديان ـ شلبي ـ ص ٣٣؛ قصة الديانات ـ سليمان مظهر ـ ص ٦٧.

من ألهوا ببلاد الرافدين[1]

أولف: إله السماء وهو أبو الآلهة وقد انهار بعد ضياع نفوذ سومر واكاد؛ فأخذ وظائفه (مردوك) البابلي ـ ثم اختلس وظائفه (آشور) حين تمت السيادة لآشور.

إثليل: إله الأرض ورب العواصف والقوة الباطنة ـ وهو سيد الريح والروح، وكان (سن) إله القمر يسمى (إثليل القوى).

انكي: هو إله الماء ويسمى أيضاً (أيا) ـ وهو ثالوث الثالوث: (أنكي) الماء ـ (إثليل) الأرض ـ (ترجال) العالم السفلي ـ وهو إله السحر، ورب العقل والذكاء والحكمة، ورب الفنون.

تِرجال: إله العالم السفلي وهو إله الوباء والعقاب ـ وزوجته هي (ارشكيمال) سيدة الأرض العظمى؛ ورمزه الأسد وأحياناً الثور.

شمس: إله الشمس فهو ضوء العالم، تتوقف عليه حياة البشر. وهو مانح الحياة ومحيي الموتى وهو يقود الناس والآلهة.

---

(١) انظر شكل (٢) لتماثيل موجودة حتى الآن بالمتاحف العراقية.

سن: إله القمر وهو يباشر تنفيذ العدالة مع الشمس ـ وزوجته (ينجال) وقد ولدت له (عشتار) إله الشمس.

عَشتار: آلهة الزهرة وابنة (سن) إله القمر، وهو ذكر في الصباح يشرف على الحروب والمذابح، وأنثى في المساء ترعى الحب والشهوة وهي ربة العشق، وكما أنها عشيقة الآلهة، وأهم مراكز عبادتها (نينوى ـ أروك ـ إربل).

مردوك: هو ابن (أنكي) ورث عن أبيه العلم والسحر، وهو أعقلهم وهو إله الخير في السلم.

أشور: أصبح أبو الآلهة في دولة آشور بدلاً من الإله (أونو) إله السماء و (إثليل) إله الأرض ـ وهو الذي يمنح التاج والصولجان للملوك وهو يرأس مجمع الآلهة الآشورية.

ندبا: إلهة الموسيقى على هيئة امرأة[١].

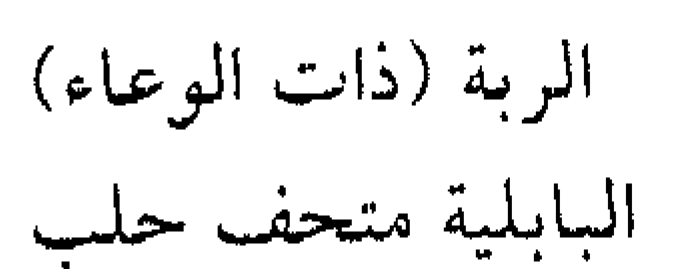
* * *

(١) قصة الديانة ـ ص ٤٠؛ الدين المقارن ـ ص ٥٢؛ تاريخ الفن المصري ـ د. ثروت عكاشة ـ ص ٥٥.

الشكل رقم (٢)

من أُلِّهوا ببلاد الرافدين





الربة (ذات الوعاء)
البابلية متحف حلب



الإله (نابو) الأشوري
المتحف البريطاني



الإله (إثليل) السومري متحف الفن

ديانة قدماء المصريين

تدل بعض أوراق البردي المحفوظة في برلين أن المصريين منذ القدم كانوا يعرفون الإله الواحد الغيبي الأزلي؛ لا تصوره الرسوم، ولا تحصره الحدود. غير أن تلك العقيدة الروحية كانت مشوبة عند العامة بفكرة أن هذا الإله يتمثل أو يتجسد أو يحل سره في بعض الكائنات الممتازة من إنسان أو حيوان أو جماد؛ فكانوا يعتقدون أن قوة التدبير في الملوك، وقوة الإخصاب النباتي في النيل، وقوة الإخصاب الحيواني في العجل (أبيس). وأن هذه الكائنات الخاصة أهل للتقديس والعبادة بفضل تلك الصلة السرية بالإلهة الأعلى.

ومن الأمثلة ما صنعته مدرسة (عين شمس) حين حاولت إبطال كل عبادة إلا عبادة إله الشمس، وما صنعه (أمنحوتب الرابع) الملقب بـ(أخناتون) حين ثار على كل مظاهر الوثنية؛ فمحا الصور وأزال التماثيل من المعابد، وأمر بعبادة إله واحد ذي مظهرين: الشمس في السماء، والملك على وجه الأرض.

وإن أخناتون يقول مخاطباً الشمس ويسميه (أتون)[1] أي قرص الشمس:

---

(١) أتون: تعني القوة الكامنة في الشمس.

أنـت الـواحـد الأحـد لا شـريـك لـك
يـا إلـه الشمـس يـا مـن لا شبيـه لـه
أنـــت تمـــلأ الأرض بحبـــك
أيهـــا الإلـــه المعبـــود
الـــذي صنـــع نفســـه بنفســـه
الذي صنع كل أرض وخلق كل ما عليها
مـا أكثـر مخلـوقـاتـك التـي نجهلهـا
أنـت الإلـه الـواحـد لا شـريـك لـك
فسبحـانـك مـن مميـز لخلقـك[1]

أكد العلماء أن المصريين الأوائل كانوا على عقائد قديمة تدعو إلى التوحيد الإلهي قبسوها من الرسل وخاصة النبي (إدريس) عليه السلام نبي المصريين، وقد ولد ببابل، وهبط هو وأتباعه (الحورشيوس) إلى مصر، ودعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد.

ثم إن (إدريس(هو نفسه (هاتون) بالعبرية، وفي العربية (أخنوخ) وفي المصرية (حوروس) أو (حوريس)، وفي اليونانية

---

(١) تاريخ الفن المصري ـ د. ثروت عكاشة ـ ص ٢٤٩.
وهذه الأنشودة مكتوبة في جبانة (حورمحب) وزير أخناتون وهي أنشودة (أتون) أو نداء الوحدانية لـ (أخناتون) على حسب ديانتهم في تقديسهم للشمس. ويعتبر هذا انحرافاً عن الوحدانية في تأليهه لـ (أتون) القوة الكامنة في الشمس.

(هـرمـاكـس) وفـي الفـارسيـة (هـرمـز) وهـو أيضـاً (هـرمـس) الهرامسة[1].

وكان المصريون القدماء يعرفون الإله الواحد الأزلي، وسموه (أتوم) ـ فهو أصل كل شيء ـ وله معنى ظاهري هو (أتون الذري)، وهو (رع) في العطاء ـ و (آمون) في بروزه كالشمس ـ ثم كان لآتوم اشتقاقات حتى صارت الوحدانية ثالوثاً في (أتون ـ رع ـ أمون) ثم كان التاسوع المصري في (أتون ـ رع ـ أمون ـ ثم بنت ـ نوت ـ شو ـ ثم إيزس ـ أوزريس ـ سيت) وآلهة أخرى ثانوية، وعبد المصريون هذه الآلهة وقدسوا مظاهر الطبيعة، وبعض الحيوانات: كالعجل وفرس البحر والثعبان.

* * *

---

(١) الدين المقارن ـ ص ٦٣.

من أَلِّهُوا بمصر القديمة[1]

أَتوم: خالق الكون ولا أول له والعالم متولد منه، وهو رب الأرباب في هيلبولس.

أتون: الإله الخفي لا يظهر إلا بصفاته، وهو نور الأنوار، والقوة الكامنة في الشمس.

نون: إله المحيط وهو الجد الأعظم لكل الآلهة، ويطلق عليه (نوو).

رَعْ: إله الشمس الذي تشخص منه النور، وقد اتخذت الآلهة اسم (رع) مثل:
(أمون رع) ـ (مين رع) ـ (سبك رع) ـ (خنم رع) وأصبح (رع) الديانة الرسمية للبلاد، وتشكل رع على أشكال عدة منها:
على شكل / جُعَلْ/ ويسمى (خبرى) التناسل.
على شكل / عجل/ ويسمى (أبيس) الإخصاب.
على شكل / ثور/ ويسمى (كاموتف) الحياة.
على شكل / صقر/ ويسمى (حور) الموت.

أمون: هو مظهر رع والدال على ظهور القدرة في الشمس وهو ملك الآلهة في طيبة ـ على شكل إنسان.

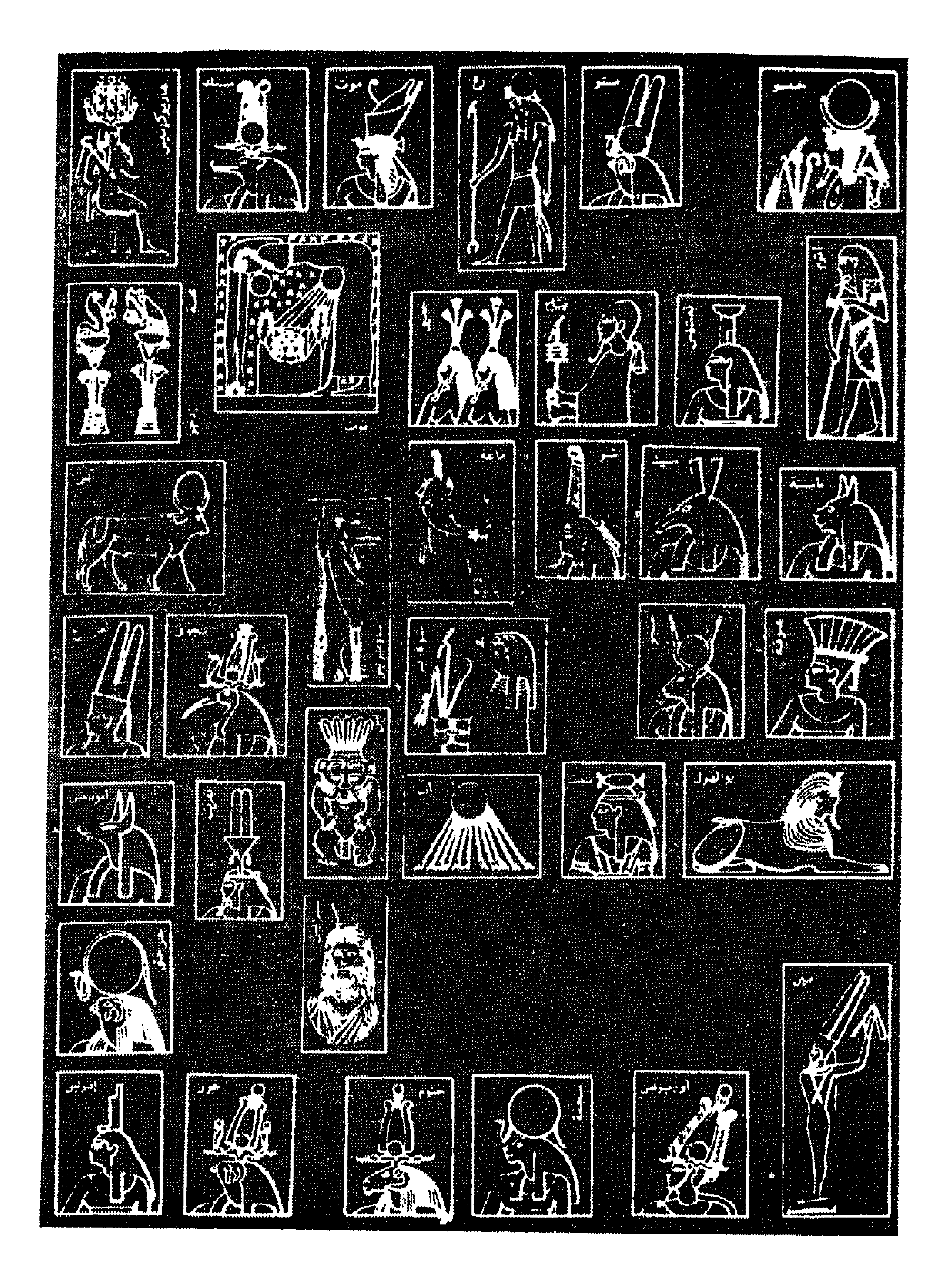
نوتَ: إلهة السماء بأفلاكها وكواكبها.

---

(١) انظر الشكل رقم (٣) «آلهة المصريين».

الشكل رقم (٣)

من أُلْهوا بمصر الفرعونية



بتاح: إله منف (منفيس) الأعظم، وراعي الفنانين، وخالق كل شيء بالكلمة، ومرادف لرع[1].

أوزريس: إله النيل والزرع وهو إله العام السفلي، ويحاكم الموتى، وهو قاضيهم على شكل إنسان في صورة رجل.

إيزيس: إلهة الحياة، وإلهة السماء؛ وهي زوجة أوزريس على شكل امرأة.

أنوبيس: إله الموتى والتحنيط يقوم باستجواب الموتى على شكل كلب متوحش.

سيت: إله الشر على شكل إنسان وله رأس ابن آوى.

سخمة: إلهة الأمومة؛ على شكل امرأة ورأس لبوة.

حور: إله الشمس والقمر؛ على شكل صقر من حجر الجرانيت الأسود.

ماعت: إلهة العدالة والحكمة؛ على رأسها تاج وهي ابنة (رع).

بنت: إلهة الصيد؛ على شكل امرأة.

حتحور: إلهة الحب؛ جسم امرأة ورأس عجل.

أبيس: على شكل عجل مقدس.

خنم: صانع الأواني الفخارية والصور الآدمية، وهو على شكل جسم إنسان ورأس كبش.

---

(١) قصة الديانات ـ ص ١٣؛ وتاريخ الفن المصري ـ ص ١٣٠ ـ ١٩٠.

توت: إله العلم والحكمة، أو السيال الكهربائي.

شو: إله الهواء والشحنة الكهربائية الموجبة، ويتبعه (نفنوت) الشحنة السالبة وإله الندى.

جب: إله الأرض.

سشات: إله الكتابة.

سبك: إله الفيضان.

حقات: إلهة الحوامل.

سوزيس: إلهة الخضرة.

معات: إلهة العذاب على شكل كلبة مفترسة.

باسيت: إلهة على شكل امرأة ورأس قط.

تيسير: إله النظام وقوانين الطبيعة.

بوتاشيت: إله الإشعاع «الشمس».

تنميت: إله الأطياف الانعكاسية.

ثالوث منف: (بتاح) الأب ـ و (سخمة) الأم ـ و (نفرتم) الابن.

ثالوث أوزيري: (أوزريس) الأب. . و (إيزيس) الأم ـ و (حور) الابن.

ثالوث منكاورع: (أمون) و (كاو) و (رع).

التاسوع المصري: (رع) الشمس ـ (سراء) الهواء ـ (أتون) السماء ـ (سيت) الصحراء ـ (تقنية) الفراغ ـ (أوزريس)

النيـل ـ (نيفيـس) الأرض القـاحلـة ـ (جـب) الأرض ـ (إيزيس) الأرض الخصبة[1].

* * *

(١) انظر الشكل رقم (٣) «آلهة المصريين».
ـ الدين المقارن ـ ص ٦٣ ـ ٧٣.
ـ تاريخ الفن المصري ـ ص ١٣٠ ـ ١٩٠.
ـ قصة الديانات ـ ص ١٣.

- Georges Posenr - A Dictionary of Egyption Civilization - P. (8 - 11 - 12 - 37 - 138 - 201 - 256).

وثنية الإغريق والرومان

أخذت المثلوجيا[1] اليونانية عن مصر وفينيقيا والهند والصين وفارس، فهي إذن شرقية الأصل، وهذه الأمم انحرفت عن التوحيد في تأليههم للكواكب وعبادة الأصنام؛ فأخذ عنهم اليونان بأسلوبهم الخاص.

فآلهة اليونان صاغها المزاج اليوناني في أشكال بشرية، وكانت العلوم والأسرار حبيسة عند الكهنة إلا أنها خرجت للناس عن طريق اليونانيين، ثم كانت النتيجة انفصال الفلسفة عن المثلوجيا، وجعل مقياسها المنطق العقلي.

ويمكن القول في العالم تعليماً واحداً منذ القدم: مداره على التوحيد وخلود النفس والجزاء على الخير والشر تداولته الشعوب.

(فطاليس) أبو الفلسفة اليونانية يقول: «الكل ملىء بالله» وجعل مظهره الماء الذي به يحيا كل شيء ـ وكما تقول مدرسة

---

(١) المثلوجيا: هو العلم الذي يبحث عن الأسباب التي دعت الأولين إلى عبادة الآلهة في أشكال عدة وتالية «أبوللو ـ عشتروت ـ أمون ـ بعل»، وتقديس الكواكب والجمادات والحيوانات والأشخاص ـ وهو أيضاً يبحث في الأساطير والعبادة الطوطمية.

(فيثاغورس): «إن الله واحد ومعطي نور السماء» ـ ويقول (أفلاطون): «إن الإنسان نفس إلهية متجسدة» وعنده نجد أن الله هو مثل الخير الأعلى وذلك في نظريته (عالم المثل) ـ وعند أرسطو نجد أن الله هو المحرك الأول.

وإن المثلوجيا اليونانية بعث للتاسوع المصري ـ وليست الأساطير إلا بواقي الأديان، ودخول الخرافات بعد انحرافها، فكانت وثنية اليونان في تماثيلهم للآلهة المتعددة.

وقد كانوا يؤلهون ظواهر الطبيعة ويعبدونها، فألهوا السماء والبحر لكل واحد منها إله، فـ (المريخ) هو إله الحرب، و (أبو للو) هو إله الموسيقى.

ولكل مدينة أربابها الخاصة بها، ويزعمون لها التجسد، ويتصورون لها حياة كحياة الإنسان، ويمثلون المعبود في صور بشرية وصور لكل رب من هذه الأرباب تمثالاً يعبد، ولها معابد أشهرها معبد (دلفي)[1].

ثم انتقلت هذه التعاليم بوجهيها السري والظاهري من الإغريق إلى الرومان، واعتقد الرومان كما اعتقد اليونان من قبل بأن كل ما يحدث في هذا العالم هو ما قضت به إرادة خالق له؛ ولكنهم لم يعتقدوا بوحدانية الخالق؛ بل عددوا أربابهم بتعدد مظاهر الطبيعة، ولكل رب اسمه وجنسه وعمله.

---

(١) دلفي: معبد بمدينة (فوكيس) «اليونان» القرن الخامس الميلادي، وبه عرافة وتدعى (عرافة دلفي) يذهب إليها الناس حتى الحكماء منهم.

ولم يتخذ الرومان لأربابهم التماثيل كما فعل اليونان إلا أنهم نحتوها من الخشب ثم من الرخام ولكنهم لم يصفوها بالأوصاف البشرية بل كل ما يتخيلونه للرب من أربابهم أنه يسيطر على قوة من القوى الطبيعية ويعمل للناس الخير والشر على ما يحب ويريد.

* * *

من أَلِهَهم الإغريق والرومان

أبُو لُّو: إله الوحي والموسيقى والشمس والنور، وأبو الإله (جوبيتر)، وأخ ديانا إلهة القمر.

أثينا: إلهة الإغريق العذراء، وقد كانت إلهة الحرب ثم صارت إلهة الحكمة، سماها الرومان (مينيرفا) وهي ابنة (زيوس)، وقد بني (البارثينون)[1] تكريماً لها.

أفروديت: هي (فينوس) إلهة الحب والجمال وابنة (جوبيتر وديون) افتتن بها الآلهة وأرادوا أن تكون زوجة لهم، ولكن (جوبيتر) منحها لـ (فولكان) خالق الصواعق ـ وهكذا أصبحت أجمل الآلهة زوجة لأبشع الآلهة، وكانت تصطفي من الطير الحمام ومن النبات الوردة.

أرتيميس: هي الآلهة العذراء ربة الطبيعة والقمر والبحيرات والأنهار والغابات والحيوانات والصيد، وكانت تعبد في (أثينا ـ وأركاديا) باعتبارها ربة القبيلة والعشيرة، وفي (اسبرطة) كانت حامية للنساء والأطفال.

---

(١) البارثينون: أشهر معابد الإغريق ـ وقد بنيت فوق تلال (الأكربول) للآلهة (أثينا) «٢٧٠ ـ ٤٥٧ ق. م.»، تحت إشراف المهندس الفنان (فيدياس) في عهد الملك (بركليس) العصر الذهبي.

اريس: أو (المريخ) إله الحرب والدمار.

إيزيس: إلهة فرعونية أخت (أوزوريس) وزوجته - وهي إلهة الخصب والطب وكانت أهم عبادتها التي انتشرت في العالم الإغريقي والروماني في (أبيدوس - وبوزيريس).

بوزديون: إله البحر عند الإغريق ويقابله (نبتون) عند الرومان.

جانوس: أو (يانوس) إله البدء عند الرومان، وكان معبده يغلق في أيام السلم ويفتح في أيام الحرب، وكان يصور برأس له وجهان.

ديانا: إلهة الغابات والقمر والصيد وهي إلهة عذراء.

ديونسيوس: إله الخمر وكان في الأصل إله الخضرة، وهو كذلك رب التمثيل والتراجيدا.

زيوس: رب الأرباب إلّه السماء والجو وقمم الجبال والنور وأشجار السنديان والصواعق وكل شاهق ومرتفع إلى عنان الفضاء، وكان يعبد في سائر بلاد اليونان، لكن أهم معابده كانت في (أولمبيا - ودودونا).

كيوبيد: هو إله الحب وابن (فينوس) ومرافقها الدائم، ويحمل قوسه وسهامه يرمي نزوات الحب ورغباته في قلوب الآلهة والبشر.

هيرا: ملكة الآلهة وزوجة (جوبيتر)، وهي ربة القوة المنتجة في الطبيعة وطائرها المفضل هو الطاووس.

هيفايستوس: إله الحدادة عند الإغريق وسماه الرومان بـ (فولكان) أو (فوليبر).

هراميس: رسول الآلهة ورب الفصاحة والبيان.

هركليس: إله الشجاعة عند اليونان، و (هركوليس) عند الرومان.

جوبيتر: إله السماء عند الرومان.

مارس: إله الحرب عند الرومان[١].

* * *

---

(١) الدين المقارن ـ ص ١٢٥.

- Cfram C.W. Gods - graves - and Scholars, P. 72.

الوثنية عند العرب

كان العرب على أنواع مختلفة من العبادات فمنهم عبدة الأصنام والشمس والقمر والكواكب والجن والملائكة والنار، ومنهم الدهريون والصابئة والثنوية والزنادقة، ومنهم اليهود والنصارى، والموحدون الأحناف.

وكانت أكثرية العرب يعرفون الله (جل جلاله) تقليداً لآثار إبراهيم عليه السلام، وإنما اتخذوا الأصنام زلفى وقربى. فنجد عند معتنقي الحنفية أن الإله الواحد الأحد غير منظور.

«وقد أخذ العرب عبادة الأصنام عن الفينيقيين. وأول من غير وأفسد دين إسماعيل عليه السلام، وسن للعرب عبادة الأوثان هو عمرو بن لُحَي بن عمرو بن غالوثة، وكان ذلك في سنة ٤٠٠ قبل الإسلام، ثم انتشرت عبادة الأصنام في بلاد العرب، وكان لهم في الكعبة وحولها نحو ٣٦٥ صنماً»[١].

وزعم قوم أن (الشمس) ملك من الملائكة لها نفس وعقل فسجدوا لها.

وأصول عبادة الشمس نقلت إليهم من المصريين عن طريق الكلدان والفينيقيين. أما عبدة (النار) فقد أخذوها عن مجوس

---

(١) الدين المقارن ـ ص ١٤٤.

الفرس، وكانت في (تيم وبني زرارة). وأما (الثنوية) فقد أخذوها عن الزرادشتية؛ ومنهم (الزنادقة)، وكانوا بعض أفراد من قريش، وفيهم (الصابئة) وهم قوم إبراهيم عليه السلام، فمنهم صابئة حنفاء، وصابئة مشركون، وصابئة فلاسفة، وصابئة أحرار؛ وهم الذين يأخذون ما عليه أهل الملل والنحل من غير تعبد.

«أما الصابئة الموحدون فهم المؤمنون بوحدانية الله، والباقون على شريعة إبراهيم عليه السلام، وكانوا قلائل منهم: (قس بن ساعدة الأيادي، وورقة بن نوفل القرشي، وزهير بن أبي سلمى، وعبد الله القضاعي، وكعب بن لؤي بن غالب)[1].

يقول ابن الكلبي: «أول ما عبدت الأصنام؛ أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم في مغارة في الجبل الذي أهبط عليه آدم ويقال لهذا الجبل (نوذ) وهو أخصب جبل.

ويقال: «أمرع من نوذ وأجدب من برهوت» وكان بنو شيث يأتون جسد آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه؛ فقال رجل من بني قابيل ابن آدم: «يا بني قابيل إن لبني شيث دوار؛ يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء»، فنحت لهم صنماً فكان أول من عملها[2].

ويقول ابن الكلبي: «كان ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر قوماً صالحين ماتوا في شهر؛ فجزع عليهم أقاربهم؛ فقال رجل من بني

(١) الدين المقارن ـ ص ١٤٦.
(٢) الأصنام ـ ص ٥٠.

قابيل: يا قوم هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً. قالوا: نعم؛ فنحت لهم خمسة أصنام ونصبها لهم»[١].

«وكان أكبر آلهة الكنعانيين وأعلاها مقاماً الإله (آيل)؛ الذي لقب بالإله العلي أو الإله العظيم، وقد ورد اسمه في التوراة ٢٢٩ مرة، وأطلق عليه اسم الله، وتؤكد التوراة أن الإله (آيل) هو الإله الذي كان يعبده إبراهيم»[٢].

وكان للإله (آيل) المكانة السامية نفسها عند الآراميين، كما اتخذ الهكسوس الذين حكموا مصر اسم الإله (آيل)؛ ونجد أن أكثر ملوك معين وسبأ كانوا يضيفون اسم الإله (آيل) إلى أسمائهم[٣].

وقد ورد اسم الإله (آيل) في الكتابات الفينيقية بصيغة (أيلوس)، وهو الإله (آيل) الكنعاني نفسه.

على أن الذي ينبغي أن يلاحظ أن الجزيرة العربية لم تكن كلها وثنية؛ إذ نجد النصرانية في (ربيعة وغسان وبعض قضاعة)، وكانت اليهودية في (حمير وبني الحارث بن كعب وكندة)، وكانت المجوسية في (تميم منهم زرارة ومنهم الأقرع بن حابس)، وكانت

(١) المصدر السابق ـ ص ٥١.

(٢) حضارة العرب ـ د. أحمد سوسة ـ ص ١٨٦.

(٣) آيل، وهي كلمة سامية ومعناها في الأكدية الإلّه بصورة عامة ـ أما في الأوجرتية فإنها تعني أبو الإلّه.

الزندقة في (قريش) أخذوها من الحيرة»[1].

أما الحنفاء فمنهم (زيد بن عمرو بن نفيل)، وكان قد اعتزل عبادة الأصنام وامتنع عن أكل ما ذبح باسمها.

أما (أمية بن أبي الصلت) فكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وحرم الخمر وشك في الأوثان، وطمع في النبوة، وكان يرجو أن يكون هو الرسول لأنه قرأ في الكتب: أن نبياً يبعث من العرب ومع ذلك لم يسلم، وقال عنه الرسول ﷺ: (آمن شعره وكفر قلبه).

ومن الحنفاء (أبو قيس بن أبي أنس) وهو من بني النجار، وكان قد ترهب ولبس المسوح، وفارق الأوثان، وهمَّ باعتناق النصرانية، ثم أمسك عنها، وأسلم وقد حسن إسلامه.

ومن الحنفاء (خالد بن سنان) وهو من بني عبس[2].

ومع ذلك انتشرت الوثنية في الجزيرة العربية انتشاراً واسعاً؛ فكان لكل قبيلة صنم خاص بها.

وكان العرب يعبدون هذه الأصنام؛ لتكون واسطة بينهم وبين الله، وشفعاء لهم حيث يقول تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[3]،

(١) التفكير الفلسفي في الإسلام ـ د. عبد الحليم محمود ـ ج ١ ص ٤٢.

(٢) في ذكر الحنيفية يمكن مراجعة بحث د. حسن الفاتح ـ النظم والمظاهر الحضارية عند العرب ـ الصفحات ٣٦ ـ ٤١.

(٣) سورة يونس: الآية ١٨.

وقال عزّ وجلّ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[1]، وقال عز اسمه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾[2]، ويعترفون بوجود الإله الخالق، نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾[3].

والشاعر العربي (امرؤ القيس) لما أراد الخروج للأخذ بثأر أبيه استخار صنم القبيلة، واسمه (ذو الخلص)، فخرج السهم بعدم الخروج، فراش إليه سهمه، وأخذ يرتجز ويقول:

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا

مثلي وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل الأعادي زورا

ويقول الطفيل بن عمرو بعد إسلامه لصنم (ذو الكفين):

يا ذا الكفين لست من عبادك

ميلادنا أكبر من ميلادك

إني حشوت النار في فؤادك

وقال شاعر آخر في الصنم (سعد):

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعو لغي ولا رشد

---

(1) سورة الزمر: الآية ٣.

(2) سورة إبراهيم: الآية ٣٠.

(3) سورة لقمان: الآية ٢٥.

بيـوت العـرب

بيت العزى: بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعد كعبة للعرب وأخذ حجرين وجعلهما على مثال الصفا والمروة واجتزأ به عن الحج، فأغار عليه زهير بن جناب الكلبي وقتله، وهدم بناءه.

بيت الربة: هو البيت الذي بني على اللات ـ بنجران لمذحج ـ وقد بناه الحارث بن كعب.

كعبة نجران: كان لبني الحارث بن كعب كعبةٌ بنجران يعظمونها ـ وقد تكون هي بيت الربة.

كعبة سندان: وكان لإياد كعبة بسنداد بين الكوفة والبصرة.

رئام: بيت لحمير بصنعاء يعظمونه ويتقربون عنده بالذبائح.

رضى: بيت لبني ربيعة.

القليس: كنيسة بناها أبرهة الأشرم باليمن، وسعى أبرهة لصرف العرب عن حجهم إلى الكعبة بمكة وتحويلهم إليها.

الطاغوت: كل ما عبد من دون الله ـ وهو الشيطان والكاهن وكل رأس ضلال ـ ويقال للصنم والطواغيت بيوت الأصنام.

العتائر: الغنم التي تذبح عند الأصنام والأنصاب، والمذبح الذي

يذبحون فيه يسمى (العتر)[1]، وقد عدد الشهرستاني بيوت أصنام منها: (بيت فارس) بأصفهان، و (مولتان) بالهند، و (بيت سدوسان) بالهند، و (التنوبهار) ببنخ، و (بيت غمدان) بصنعاء، و (بيت كاوسان) بفرغانة[2].

* * *

(١) الملل والنحل ـ للشهرستاني ـ ص ٥٧٥.

(٢) المصدر السابق بنفس الصفحة. وقد وضحنا بيوت الأصنام في الفصل الأول من هذا الباب.

أصنام العرب

هبل[1]: وهو من أعظم الآلهة في جوف الكعبة ـ وكان يستفتى في المشكلات الشخصية كالزواج والولادة والسفر والعمل وكانوا يستقسمون عنده بالأزلام ـ وهو من العقيق الأحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، وقد جعلت له قريش يداً من ذهب، وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر.

مناة: كانت على هيئة صخرة سوداء ـ وموضعها على ساحل البحر من ناحية المشلل بين مكة والمدينة ـ وكان عبدتها من الأوس والخزرج، ومن ينزل المدينة ومكة، ولا يتم حجهم إلا بحلق رؤوسهم عند هذا الصنم، وكانت (مناة) آلهة الموت عند البابليين، وتعرف باسم (مامناتو)، وورد اسم (مناة) أيضاً في النقوش النبطية القديمة.

اللات: الآلهة الرئيسية عند العرب، وكانت صخرة مربعة بيضاء، ونجد معبداً لها في الطائف مركز قبيلة ثقيف، وهم سدنتها وهي أحدث من مناة، وتمثل اللات فصل الصيف عند

---

(١) الأصنام ـ ص ٦؛ الدين المقارن ـ ص ١٤٤؛ تاريخ العرب في الإسلام ـ جواد علي ـ ص ٤٣.

البابليين، ويسمونها (اللاتو). أما النبط فكانوا يعتبرونها إلهة الشمس.

العزى: وهي صنم أنثى على هيئة (شجرة)، وكان موضعها بواد من النخلة الشامية على بعد خمسة وسبعين ميلاً من مكة في الطريق إلى العراق - وهي من الآلهة التي أتى بها عمرو بن لحي - وعبدتها قريش وبنو كنانة، وهي أعظم أصنام قريش، وأحدث من اللات ومناة[١].

سواع: اتخذته هذيل إلهاً في ينبع، وكان سدنته من بني لحيان.

ود: عبدته كلب بن وبره من قضاعة، وكان موضعه بدومة الجندل على صورة رجل.

يغوث: عبده أهل جرش - من مذحج وانعم من طيىء، وكان على صورة أسد.

يعوق: عبدته خيوان وهي بطن همدان من بلاد اليمن على صورة فرس.

نسر: عبدته ذو الكلاع من حمير، وانتشرت عبادته إلى أعالي الحجاز.

أساف ونائلة: عبدتهما قريش - منافٍ وهو إله الثموديين.

رضى: عبدته مناف، وهو إله الثموديين.

ذو الخلص: وقيل ذو الخلصة، وكانت بتبالة وسدنتها بنو أمامة

(١) Hiti History of the arabs - P. 100.

من تبالة، وكان حجراً أبيض منقوشاً، وهو الآن عتبة باب مسجد تبالة.

سعد: عبده بنو ملكان من كنانة بساحل جدة، وكان صخرة طويلة.

ذو الكفين: كان لدوس، ثم لبني منهب بن دوس.

ذو الشرى: كان لبني الحارث بن يشكر.

الأقيصر: عبدته قضاعة وغطفان، وكانوا يجتمعون إليه، ويحلقون رؤوسهم عنده، ويلقون بشعرهم مخلوطاً بالدقيق، وهو صنم على مشارف الشام.

مناف: عبدته قريش، وكانت تسمى بعبد مناف.

الفلس: صنم لطيىء أسود على شكل إنسان.

نهم: صنم لمزينة، كان سادنه يسمى خزاعة بن عبد نهم.

عائم: وكان لأزد السراة.

سعير: وكان لعنزة.

عميانس: صنم لخولان.

الأشهل: صنم عبده بني عبد الأشهل.

جهار: صنم كان لهوازن.

الدار: صنم سمي به عبد الدار بن قصي بن كلاب.

الشمس: صنم قديم، وبه سمت العرب عبد شمس، وهو بطل من قريش، وأول من تسمى به سبأ بن يشيب.

صدا: صنم لقوم عاد.

صمودا: صنم لقوم عاد.

القمار: صنم عبده بن مرداس السلمي ورهطه.

خيرتان: ويقال (العيرتان) وهما صنمان للمنذر، كان قد اتخذهما بباب الحيرة؛ ليسجد لهما من دخل الحيرة امتحاناً للطاعة[1].

عبعب: صنم لقضاعة وسمي (الغبغب).

عوض: صنم لبكر بن وائل.

كثرى: صنم لجديس وطسم.

محرق: صنم لبكر بن وائل.

مرحب: صنم لحضرموت باليمن.

الهبا: صنم لقوم عاد.

اليعبوب: صنم لجديلة طي ـ وكان لهم سواه صنم أخذته منهم بنو أسد فاستبدلوا اليعبوب به.

باجر: صنم كان للأزد ومن جاورهم من طيىء وقضاعة.

وسوى هذه الأصنام الشهيرة كانت هنالك أحجار مؤلهة كثيرة؛ حتى قيل: إن كل أسرة كان لها صنمها الخاص غير صنم القبيلة، والصنم الكبير ومنها: البعيم/ بلج/ الجيت/ الجبهة/ جريش/

---

(١) الأصنام ـ ص ٦؛ الدين المقارن ـ ص ٤٤.

الجلد/ منهب/ الزون/ الشارق/ العتر/ الكسعة/ باليل/ ذات الودع[1].

* * *

(١) قصة الديانات ـ ص ٤٨٤؛ تاريخ العرب في الإسلام ـ ص ٤٣.

الحـج للكعبـة

الحج من الشعائر الدينية القديمة عند الساميين، ويعني التوجه إلى الأماكن المقدسة في أوقات معينة من السنة.

ولم يكن الحج مقصوراً على بيت واحد يحج إليه العرب. فالنصوص القديمة أشارت إلى وجود الحج عند العرب إلى بيوت كانت تقدسها؛ مثل معبد (ذو الشرى) عند بنط بطرا، وقد ذكر (ابن الكلبي) أن الأزد كانوا يحجون إلى (مكة)، وأن قريشاً تزور (العزى) وتهدي إليها على حين كانت قبائل (لخم) و(قضاعة) و (جذام) و (أهل الشام) يحجون إلى (الأقيصر). أما (مذحج) فكانت تحج إلى الصنم (يغوث).

وأورد الإخباريون أسماء عدد من البيوت المقدسة مثل بيت (العزى) على مقربة من عرفات، وبيت (اللات) في الطائف، وكعبة (سندان)، وبيت (رئام) و (السعيدة) و (ذي الكعبات) الذي كان يحجه ربيعة في الجاهلية. أما (ديساء) فبيت بنته غطفان مضاهاة للكعبة.

وقد أورد الإخباريون أن هنالك بيوتاً أخرى كما ذكرنا ذلك في النصف الأول من هذه الرسالة؛ فمنها (مناف) و (ذو الخلص) و (نجران) و (رضى) و (القليس).

أما الكعبة فبناء مكعب الشكل غير منتظم الأضلاع، وكان الأساس الذي وضع إبراهيم عليه السلام هي نفس الأبعاد الموجودة؛ فالارتفاع تسعة أذرع وعرضه اثنان وثلاثون ذراعاً من الركن الأسود إلى الركن الشامي، أما عرضه ما بين الركن الشامي إلى الركن الغربي فاثنان وعشرون ذراعاً، ويمتد عرضه من الشق اليماني إلى الركن الأسود عشرين ذراعاً.

ويقول الشهرستاني: «إن آدم عليه السلام هو أول من بنى الكعبة حين وافى حواء بجبل الرحمة من عرفات، ثم تولى ابنه شيث بناء البيت من الحجر والطين، ثم خرب ذلك بطوفان نوح عليه السلام، حتى انتهى برفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل»[١].

ويقول أيضاً: «وأول من وضع فيه الأصنام هو (عمرو بن غالوثة) ذلك أنه أتى البلقاء فوجد بها قوماً يعبدون الأصنام، فطلب منهم صنماً من أصنامهم فرفعوا إليه (هبل)، ثم سار إلى مكة ووضعه في الكعبة، وكان معه (أساف) و (نائلة) على شكل زوجين»[٢].

وخلاصة القول أن العرب قد عرفت الحج إلى بيت الله؛ فأتت إليه لأداء المناسك منذ كانت البشرية، وهو أول بيت وُضع للناس

---

(١) الملل والنحل ـ ص ٥٧٣.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

لعبادة الله تعالى لقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[١].

ويذكر ابن كثير في تفسيره أسماء كثيرة لمكة منها: (بكة/ البيت العتيق/ البيت الحرام/ البلد الأمين/ المأمون/ أم رحم/ أم القرى/ صلاح/ العرش/ القادس/ المقدس/ الناسة/ الباسة/ الحاطمة/ الرأس/ كوثاء/ البلدة/ البنية/ الكعبة)[٢].

فمكان البيت قد حدده الله منذ بدء الخليقة، وكان الحج وكان البيت قبل إبراهيم؛ وإبراهيم رفع القواعد، إذن كان المكان موجوداً من قبل، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[٣].

ولذا لزم التوضيح الفرق بين المكان والمكين. فالمكان هو بيت الله الذي فيه الكعبة وليست الحجارة التي بنيت منها الكعبة، وسمي ما يشغل هذا المكان بـ (المكين) أي الحجارة التي بنيت منها الكعبة؛ فالعبادة للمكان الذي حدده الله، وليس للحجارة التي بنيت منها»[٤].

وقدر الله مكان البيت، والبيت فوق هذا المكان وتحته، ويمتد إلى مشارق الأرض ومغاربها وإلى ما لا نهاية ـ فهو قبلة المصلين

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير ـ ج ١ ص ٣٨٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٧.

(٤) الكعبة ـ الشعراوي ـ ص ٣١.

أينما كانوا ـ بدليل أن المصلي يصلي باتجاه الكعبة وإن كان بعيداً عن سطح الأرض بآلاف الأقدام، أو تحت سطح الأرض وباطنه أو تحت سطح البحر من أبعاد بعيدة فصلاته صحيحة.

بمعنى أننا لسنا مقيدين بالبناء الذي يدل على مكان البيت بطوله وعرضه وارتفاعه، ولكننا مقيدون ببيت الله الحرام، وبيت الله قد تم تحديده بمكانه بالقواعد التي رفعها إبراهيم عليه السلام لتدلنا على المكان.

فالذي يصلي متوجهاً إلى بيت الله وهو المكان الذي توجد فيه الكعبة الذي يدلنا على المكان الذي توجد فيه الكعبة إنما يتجه إلى الله سبحانه وتعالى؛ وحين يسجد المصلون يسجدون إجلالاً لله متجهين إلى بيته سواء من بعد أو من قرب.

والكعبة المشرفة هي العلاقة أو الرمز الذي يبين لنا مكان البيت الحرام ـ وبيت الله هو المكان الذي توجد فيه الكعبة وليست الحجارة ـ ومن هنا فإننا لا نسجد للحجارة بل سجودنا لله جل جلاله.

يتوجه المصلّون نحو الكعبة من مشارق الأرض ومغاربها لوحدة الهدف؛ فليس من المعقول وليس من المنطق أن يصلي كل في اتجاه مخالف داخل مسجد واحد، يقول تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

وهناك أمر آخر يجب التنبيه إليه: هو أن الذين يعبدون أشياء مادية نجدهم يضعون تمثالاً لهذه الأشياء في معابدهم. فعابد الوثن يسجد أمام وثنه، وهو موضوع أمامه في المعبد، أو البيت أو في أسفاره ـ فعبادة الماديات ليس فيها انتقال، ولا غيب، بل يعبدون المسجد أمامهم، ويجب أن يكون في حضور، والحضور فيها هو أن يكون الحجر أو الصنم موجوداً في مكان العبادة، وإلا بطلت عبادتهم لها.

فإن كان المسلمون يعبدون أحجار الكعبة، لزم وجود حجر من أحجارها في أماكن العبادة، وهذا هو منطق عبادة الحجارة، وهذا بالطبع منهي عنه في الإسلام؛ لأن المسلمين لا يسجدون للحجارة، ولكنهم يسجدون لله سبحانه وتعالى في بيته الذي علامته الكعبة. والكعبة تدل على مكان البيت وقبلة المسلمين.

* * *

الوثنية في كوش (السودان القديم)

أرض كوش هي البلاد الواقعة جنوب مصر الفرعونية، وقد كان (آمون) كبير الآلهة يعبد في كوش، وأصل هذه العبادة يرجع إلى الفراعنة إلا أن الكوشيين عبدوا بجانبه آلهتهم المحلية.

ويظهر من مقابرهم وطريقة دفن موتاهم إيمانهم بخلود الروح والبعث، ويتضح من الرموز والزخارف التي تمثل الخلود والأبدية أنهم وحّدوا الله في العبادة حتى دخلها الانحراف.

«وقد عبد الكوشيون (آمون رع) وقد أصبح (رع) وإله النوبة (ديدون) يعرفان كعبادة موحدة»[١].

ومن المؤكد أن حضارة كوش لها استقلالها عن الحضارة الفرعونية، ويؤكد هذا القول تقرير علماء الآثار (داوس ـ انهام ـ رايرنر)[٢]. ونستخلص من تقاريرهم: «أن ملوك كوش بعد أن فقدوا السيطرة على مصر مباشرة بدأوا باتخاذ مروى كمقر طبيعي» ـ بيد أن المنطقة الشمالية ظلت تحافظ على مركزها الروحي لمدة طويلة، وذلك لوجود معبد (آمون رع)، بينما كانت

---

(١) نبتة ومروى ـ السمحوني ـ ص ١٤.

(٢) (داوس ـ أنهام ـ رايرنر) علماء آثار عملوا في السودان ولهم مؤلفات في ذلك.

مروى تبحث عن تقاليد خاصة بها.

ويقول الأب (فانتيني): «أكبر المعبودين عند أهل النوبة السفلى هو الإله (مندوس)، وهو عبارة عن الشمس، وقد بنى له البطالسة مبعداً ضخماً في كلابشة.

أما الإله (أبادماك) فهو إله النوبة العليا، وكان تكريمه في المصورات الصفراء، ورمزه جسم إنسان يعلوه رأس أسد.

أما إله النوبة (أرنستوفس) فقد انتشرت عبادته حتى وصلت البجا، ويشار إليه بصورة صائد يمسك غزالة بيده وباقة من الزهور بيده الأخرى. أما في المصورات فقد كان «الفيل» يتمتع بعبادة خصوصية[١].

وما يؤكد استقلال أراضي كوش عن مصر الفرعونية الآثار، وخاصة النحت الذي يخالف النحت المصري، كما يدلنا على ذلك تمثال (تهارقا)[٢]. «وفي حوالي عام ٢٧٠ ق. م. بنى الملك (أرخماني) معبد الأسد الشهير في المصورات الصفراء للإله (أبادماك)[٣]، ويؤكد عالم الآثار (هنترا) أن معبد الأسد بني حوالي عام ٢٣٠ ق. م[٤].

(١) تاريخ المسيحية في السودان ـ فانتيني ـ ص ٣١.
(٢) تهارقا: وينطق أيضاً تهرقا أو ترهاقا ـ وهو ملك نوبي حكم ما بين ٦٩٠ ـ ٦٦٤ ق. م.
(٣) نبتة ومروى ـ السمحوني ـ ص ٣٢.
(٤) كوش ـ ج ١١ ص ٢٢٥.

ومعبد الأسد هذا يمثل ابتعاداً عن الطابع المصري إلا أنه بني في كثير من الوجوه على طريقة المعمار المصري، ولكن توجد فيه عناصر هامة لا توجد في المعبد المصري إذ يحتوي معبد (الأسد) على ممر خلفه بهو واحد بدل حجرات متعددة؛ تقود كل منها إلى الأخرى كما هو الحال في المعابد المصرية.

ومما يثير الاهتمام ظهور سمات مميزة في الحضارة الكوشية: مثل إله (الأسد)، ومواكب (الأفيال)، ورموز (الأبقار ـ والتماسيح)، ويبدو أن الأسد كان حيواناً مقدساً عند الكوشيين، حتى أن الملك (تاستاس) وصف نفسه بالأسد الذي يبتلع أي شيء.

وكذلك يعتقد (ماكادم) بوجود معابد في كافة أنحاء كوش في العهد المروي، وفي هذا العهد بدأ الزي المروى يظهر في النقوش والرسوم وفي الأبنية والآثار؛ كما ظهرت لمروى لغتها المكتوبة[1]. ويبدو أن الكوشيين تمصروا في الشمال أكثر من الجنوب. فمعبد (الشمس) في مروى يبدو ذا سمات مروية أصيلة على الرغم من أن مظهره الخارجي يبدو يونانياً.

وأول ذكر مؤكد لكوش كان على لوح (بوهين) الذي يرجع تاريخه إلى السنة الثامنة من حكم (سيزوستريس) الأول، وقد اكتسب اسم كوش معنى أوسع لتعم كل أراضي النوبة، ويؤكد اللوح الأول والثاني لكاموس أن بلاد كوش كانت تحت الحكم

---

(١) معابد كوة ـ ماكادم ـ ج ٢ ص ٢٤.

النوبي، وكما أن الملك النوبي يعتبر نفسه مساوياً لفرعون مصر.

وقد أطلق القدماء عدة أسماء للأراضي الواقعة جنوب مصر، أي جنوب الشلال الأول أطلق على هذه النطقة اسم (تانجسيو)[١]، وتارة يطلقون عليها اسم (تاستي)[٢] وأحياناً يميزونها بإقليم (واوات)، ويسمونه أحياناً بـ (كاش)[٣].

* * *

(١) تانجسيو: أرض الزنوج.

(٢) تاستي: أرض القسي.

(٣) إنسان العصر يتوج رمسيس ـ د. ثروت عكاشة ـ ص ٨.

من أُلِّهُوا ببلاد كوش

أبدماك: الإله الأسد إله الكوشيين ـ اعتبر إلهاً للحرب؛ أقيمت له المعابد في مروى والنقعة، والمصورات، وكان يصور في هيئة إنسان له رأس أسد، وصور أيضاً في النقعة على هيئة ثعبان كبير له رأس أسد، كما صور في معبد النقعة في شكل إنسان له ثلاثة رؤوس.

أوزيريس: يعتبر ملك العالم السفلي، ويرمز لكل ملك متوفى، ويصور على هيئة المومياء، وهو محور أسطورة أيزيس وأوزيريس التي تجسد الصراع بين الخير والشر.

إيزيس: زوجة إله الخير أوزيريس وأم حوروس ـ تمثل الخير والأمومة والسحر ـ مركز عبادتها في (فيلاي) عند أسوان، وبنيت لها المعابد في مروى.

آمون: أُلِّه بمصر كما عبد في أرض كوش على شكل إنسان برأس كبش، بنيت له معابد كثيرة منها صنم والبركل ومرو والنقعة، وكانت تماثيله تلون باللون الأزرق وهو لون الأثير.

أرنستوفيس: عبده أهل البجا والنوبة وهو على شكل إنسان؛ وله مواقع كثيرة منها كلابشة والمصورات الصفراء.

ديدون: الإله الرئيسي عند النوبة ساواه القدماء بالمعبود أرنستوفيس في فلاي، وبآمون في مصر.

حوروس: وريث أبيه أوزيريس، ويرمز إلى كل ملك حي يصور عادة على شكل إنسان له رأس صقر، وقد عبد بالنوبة السفلى.

مندوبس: إله الشمس وله معبد في كلابشة.

سبويمكر: لقب بسيد المصورات والنوبة، وعلى مدخل المعبد رقم ٣٠٠ بالمصورات، يقوم تمثال لهذا المعبود، يمسك في يده حبلاً يلتف حول تمثال أسد رابض.

ثالوث أسوان: يتكون من: خنوم وأساتيس وعنقت.

ثالوث نبتة ومروى: يتكون من: آمون وموت وخنسو[١].

* * *

(١) تاريخ السودان القديم - محمد إبراهيم بكر - ص ١٨٥ - ١٨٧؛ تاريخ السودان - حسن سليمان - ص ٣١؛ تاريخ المسيحية في السودان - ص ٩٤.

الفصل الثالث

مواجهة الأديان للوثنية

[١] العقيدة الإلّهية:

انقسم العلماء في ظهور التدين أو الدين - فيرى فريق أن الدين بدأ في صورة خرافة وثنية، وأخذ الإنسان يترقى على مدى الأجيال حتى وصل إلى الكمال بالتوحيد - قال بذلك «علماء أمثال: (سبنسر - تيلور - فريزر - دوركايم)[١]، وبهذا الفرض تكون عقيدة التوحيد عقيدة جديدة».

وعلى أساس هذا الزعم تكون الأديان خرافة وعقيدة جديدة من اختراع الإنسان، وليس هنالك إله ولا وحي ولا رسل، وتكون النتيجة المنطقية لذلك أن تتجاوز الإنسانية عقيدة الوحيد بالتطور إن كان هناك تطور - وهذا هو ما يرمون إليه - ويستدل هؤلاء العلماء بنظريات التطور والنشوء والارتقاء، وما كشفته الحفريات الأثرية وما كشف عن الإنسان الأول في جنوب إفريقيا وجنوب

---

(١) الدين - ص ١٣٣.

أوروبا وإسبانيا وبكين وسنجة إلا أن نسبة هذه الكائنات للجنس البشري ضعيفة[1].

وكل ما يقال عن كيفية الخلق وتطور الإنسان وترقيه اقتحام للمجهول والأدلة التي يسرقونها ليست كافية وغير مقنعة، وكل ما يقال مجرد فروض لا ترتقي إلى الفروض العلمية، وما زال العلم في طور الطفولة لكي يستكشف مثل هذه المجاهيل، وحتى لو افترضنا أن (آدم) عليه السلام قد ترقى؛ فهو أول الموحدين لأنه أول الأنبياء لكونه أول البشرية وأب للبشرية.

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم نتيقن أن الخالق سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان في أحسن صورة لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾[2]. ويقول تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾[3]. ولم يتطور الإنسان من الخلية الأولى بل خلق الإنسان من طين لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾[4].

أما علماء الفريق الثاني المعاكس للأول فيقررون: أن عقيدة الخالق الواحد هي أقدم ديانة ظهرت للإنسان، وأما الوثنية فهي

---

(١) سوف يأتي ذكر الإنسان الأول في الفصل الأخير من الباب الثالث.

(٢) سورة التين: الآيات ٤ ـ ٦.

(٣) سورة التغابن: الآية ٣.

(٤) سورة الحجر: الآية ٢٦.

أعراض طارئة وتطفل، وهي نظرية فطرية التوحيد وأصالته.

وفي هذا الصدد يقول د. أحمد الخشاب: «فقد أثبت (لانج) عقيدة الإله الأعلى عند القبائل الهمجية في أستراليا وإفريقيا وأمريكا، وكذلك (شريدر) الذي أثبتها عند الأجناس الآرية القديمة، و (بروكلمان) الذي أشار إلى وجودها عند الساميين قبل الإسلام. أما (لرواة ـ وكاترفاج) فقد أثبتا وجودها عند أقزام أواسط إفريقيا، وأما (شمدت) فقد تتبع جذورها عند سكان أستراليا الجنوبية»[1].

فعقيدة التوحيد هي عقيدة نقية وهي (الوحدانية)، ثم دخلها الثنوية والتثليث والكثرة ثم الوثنية، وقد أثبتنا ذلك في الفصل الأول والثاني من هذا الباب.

فلم تكن بداية الأديان بالخرافة، فما ينطبق على الخرافة والسذاجة لا ينطبق على الأديان، بل إن الهدى والضلال ظاهرتان متعارضتان، وليستا متعاقبتين، موزعة على كل الأمم وعلى مدى العصور توزيعاً أفقياً ورأسياً.

ويرى بعض العلماء أن الأساطير هي أصل الديانات وخاصة عند الإنسان الأول، وهو رأي لا يرفض كله؛ لأن العقائد (المنحرفة) تلبست بالأساطير عند القبائل البدائية ـ أي الإنسان الأول ـ[2] فلا يمكن إغفال العلاقة بينهما؛ ولا يمكن في نفس

---

(١) الاجتماع الديني ـ ص ١٤٠.

(٢) آثرت كلمة (الإنسان الأول) على (الإنسان البدائي) فالقائلون بالبدائية =

الوقت المطابقة بينهما؛ لأن العقيدة قد تحتوي على الأسطورة؛ ولكن الأسطورة لا يحتويها، لأن العقيدة تشتمل على زيادة العنصر الأخلاقي والأمل في الرحمة من جانب الرب المعبود.

ويرى الأكثرون في نقد الأديان: أن الضعف البشري وشعور الإنسان به بين مظاهر الطبيعة؛ يدفعان به إلى ابتداع الفكرة الدينية؛ حتى يستشعر من خلالها بالطمأنينة فيتوجه إلى معبوده بالصلوات في شدة بلواه.

ولكن الواقع ينفي ذلك؛ لأن الضعف لا يعلل الالتجاء إلى عقيدة دينية وخاصة العقائد السماوية لأنها تصدر من غير الضعفاء من الناس كالأنبياء؛ وهم أقوى الناس.

والأنبياء ابتلوا وامتحنوا فصبروا ونجحوا ـ وواقعة (الفداء) دليل على ذلك فيما تم بين إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

ثم إنه ليس معدن الإيمان معدن ضعف؛ بل الصحيح أن العقيدة تعظم الإنسان على قدر إحساسه بعظمة الكون لا على قدر

= يعنون (الهمجية) ـ وهي نسبية ـ فالهمجية موجودة أيضاً في القرن العشرين عند الإنسان المتحضر أيضاً ـ وفي كل العصور، وأول إنسان هو آدم عليه السلام، والإنسان الأول نعني به الإنسان القديم.

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٢.

إحساسه بضعفه. فمبلغ الإحساس بالعظمة هو مبلغ الإحساس بالعقيدة الدينية.

«ويعلل (ماكس ميلر) لظهرة الأديان من اللغات فهيٍ ـ أي اللغات ـ تنسب لكل ظاهرة فلا يشبه أفعال الإنسان مثلاً: النهر يجري ـ الهواء يزمجر ـ النار تشهق ـ وهي تعبيرات مجازية أخذت على حقيقتها فصارت تأخذ صفة الكائنات الحية، ثم كان تمثيل الأفلاك بالعناصر الحية والرموز المجسمة[1]، ولكن في الحقيقة يمكن أن يكون هذا تعليلاً للأساطير ولا تصح تفسيرات للأديان.

وكذلك لا يصح وضع تطور الأديان كتطور الحضارة ـ لأن أشد القبائل همجية عرفت رب الأرباب ـ والعرب عندما عبدوا الأصنام عبدوها زلفى وقربى، وقد عرف المصريون التوحيد وبقيت أسماؤه المتددة على حسب التجلي لهذا الإله: كان أزوريس هو إله الشمس (رع) وهو الخالق باسم (خنم) وهو العلم باسم (توت)، وكما أن اليهود عبدوا العجل (أبيس) بعد عبادة الله الواحد.

فالتطور لم يكن على سلم متعاقب الدرجات بل على سلالم مختلفة صعوداً وهبوطاً، والأديان لا تتطور لأن التطور ذو حدين إما للأسوأ لو للأحسن وهو ترقي، والذي يترقى هو الإنسان ليتفهم العقيدة.

وباءت بالفشل كل النظريات التي تربط الدين بالمظاهر الطبيعية أو اللغوية أو النفسية أو الاجتماعية. لأنها فطرة الله؛ والعقيدة

---

(١) الاجتماع الديني ـ ص ١٠٥.

الإلهية جاءت بالوحي والدلائل البرهانية ماثلة في الأنفس والآفاق، وبواعثه النفسية مركوزة في العقل والوجدان، ولكن اختلاف الناس في مشاربهم أوجد الخلاف. ولهذا دعا القرآن الكريم بشتى الطرق والأساليب لهداية الإنسان.

كما وأن جملة «نشأة العقائد الإلهية» غير صحيحة حتى أن الذين يدافعون عن العقائد يقعون في هذا الخطأ، لأن النشأة فيها إحساس بالتطور؛ وهي من الفعل الإنساني؛ أي أنها كانت صغيرة ثم كبرت أو بسيطة ثم تعقدت، أو كانت وثنية ثم تطورت إلى وحدانية؛ فيطابق ذلك قول القائلين بتطور الأديان عن الأساطير، فتكون العقائد ناشئة من شيء ما.

قد تنطبق النشأة على العقائد فقط ولكن لا تنطبق على العقائد السماوية ـ الإلهية ـ لأن العقائد الإلهية لم تأت بالتنشئة بل هي تنزلت من عند إله واحد حي وقيوم بواسطة وحي: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾[2]. فهو إذن تنزيل وليست نشأة.

أما موقف إبراهيم عليه السلام في مراقبته لبعض ظواهر الطبيعة (كالشمس والقمر) حاسباً إياها ربه ـ حتى قال: ﴿إني لا أحب الآفلين﴾ هذا لا يعني تطور للعقيدة إنما يعني ترقي للمتأمل حتى يهديه الله. وقد جاء الوحي لخاتم الأنبياء محمد ﷺ وهو يتأمل في

---

(١) ولهذا لم أكتب لهذه الفقرة «نشأة العقائد الدينية» كما هو مدون ببعض الكتب ـ فآثرت كتابة (العقائد الإلهية).

(٢) سورة الحجر: الآية ٩.

غار (حراء). فالتأمل في ملكوت الرحمن ينير الطريق - وهو الإعداد النفسي لتلقي النور الإلهي ليهتدي بهديه.

* * *

مواجهة الأديان للوثنية

كل العقائد السماوية واجهت الوثنية ونادت بالوحدانية. وأصل الديانة هي عقيدة التوحيد التي أنزلت مع آدم عليه السلام فهو أول الأنبياء، وأول الموحدين.. كان التوحيد أولاً ثم كانت الانحرافات ـ كما بينا ذلك في الفصلين السابقين من هذا الباب.

ويقول ابن الكلبي: «كان بنو شيث أول من عظموا جسد آدم، وبنو قابيل أول من نحتوا صنماً»[1].

وأرسل الله إدريس عليه السلام نبياً ومعلماً للحكمة. وجاء من بعده (نوح) عليه السلام ثم كان الطوفان. ثم تتابع إرسال الرسل بعقيدة التوحيد الأولى كلما وهنت عقائدهم حيث التحريف والتبديل وتغيير المفاهيم فعبدت الأصنام من دون الله.

أما (عاد) وهو قوم هود فينسبون إلى العرب العاربة، وكانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان فأرسل الله لهم (هوداً) هادياً ومبشراً وكذلك أرسل (صالحاً) لقوم ثمود.

وكان إبراهيم الخليل أول من حطم الأصنام، ثم أرسل الله (لوطاً) لأهل سدوم بعد أن فسقوا وخرجوا عن ملة إبراهيم، وكانت هذيل أول من عبد الأصنام من ولد إسماعيل عليه السلام.

---

(١) الأصنام ـ ص ٥١.

ثم عبد أهل مدين (الأيكة)[1]، ويقول تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧٦﴾[2].

وكانت الانحرافات في العقائد القديمة، فقد انحرف المجوس عن الزرادشتية وعبدوا النار، كما انحرفت قبلهم البرهمية. وقد ألهت البقرة عند الهندوس، وكما كان تأليه جينيه في الجينية، وتأليه بوذا في البوذية، وقد أَلَّه اليهود العجل كما أَلَّه النصارى المسيح، وقد نجا الإسلام وحده من محاولات التحريف في عقيدة الألوهية.

وهنا تبرز حاجة البشر للرسل لكي لا تضل الطريق القويم للإسلام. ويقول دراز: «الإسلام اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء وانتسب إليه كل أتباع الأنبياء»[3].

والأنبياء إخوة جاءوا كلهم بالتوحيد وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾[4].

وقد جاء كل الرسل صلوات الله عليهم أجمعين بالإسلام، والإسلام هو الدين المشترك من لدن آدم وحتى خاتم الأنبياء والمُرسلين؛ نجد ذلك في القرآن الكريم: يقول نوح لقومه:

---

(١) الأيكة شجرة من الأيك عبدها أهل مدين من دون الله.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٧٦.

(٣) الدين ـ ص ١٧٥.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1]. ويوصي يعقوب بنيه: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[2]، ويقول عيسى: ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[3]، ويقول موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[4].

والدين عند الله الإسلام لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[5].

فلا دين غير الإسلام وفي ذلك يقول عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[6].

وكان إبراهيم الخليل أول محطم للأصنام ـ فأبوه (آزر ويساعده أخوه ناحور وحاران هم صناع الأصنام)؛ قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ

---

(١) سورة يونس: الآية ٧٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٢.

(٤) سورة يونس: الآية ٨٤.

(٥) سورة المائدة: الآية ٣.

(٦) سورة آل عمران: الآيتان ٨٤، ٨٥.

﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝٤٤﴾[1].

نشأ إبراهيم عليه السلام في إقليم بابل، وعاصر النمرود، وجادله في شأن الأصنام التي يعبدونها ـ ونجد هذه المجادلة في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾[2].

دعا إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد الخالص، وقد تحدث عنه القرآن الكريم في خمسة وثلاثين موضعاً ـ وإن ملة إبراهيم هي الإسلام ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٣١﴾[3].

وقد صبر أيوب على البلاء فكان صابراً نعم العبد إنه أواب، وأُرسل (يونس) إلى أهل نينوى عندما حادوا عن الصراط ـ قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤٤﴾[4]، فكان نداء يونس وهو في بطن الحوت: أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ـ إنه بحق كان نداء

---

(١) سورة مريم: الآيات ٤١ ـ ٤٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.

(٣) سورة البقرة: آيتا ١٣٠، ١٣١.

(٤) سورة الصافات: آيتا ١٤٣، ١٤٤.

وحدانية؛ فقد نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت.

وقد نادى من لم يكن رسولاً بالتوحيد؛ اقتفاء لآثار الرسل في توحيد الله ونبذ عبادة الأصنام.

ومنهم (زرادشت) فقد أنكر الوثنية وجعل الخير المحض في صفات الله، وأنزل بإله الشر إلى ما دون منزلة المساواة بينه وبين الإله الأعلى، وبشر بالثواب وأنذر بالعقاب، وحاول جهده أن يقصر الربانية على إلّه واحد، ولكن الأسلاف عبدوا النار المقدسة من بعده.

أما فرعون مصر (أمنحتب الرابع)[1] فقد نادى بالتوحيد، ولعله قد أخذ التوحيد عن (إدريس) عليه السلام، ولقب نفسه بـ (أخناتون)، وهو آخر من نادى بالتوحيد من فراعنة مصر، وقد عمد أخناتون إلى إزالة تماثيل الآلهة المتعددة، وأسقط سلطان الكهنة ليعبدوا (أتون) أي القوة الكامنة في الشمس؛ فكانت ثورة دينية، وقد بيّنا رأينا في الفصل الأول من هذا الباب.

ونجد تشابهاً بين أنشودة (أتون) لأخناتون، وبين الفقرات من ٢٠ إلى ٣٠ من المزمور رقم ١٠٤ من العهد القديم.

وقد دعا (أشعيا) للتوحيد فيقول في نداء الوحدانية «إن الله واحد وهو إله العالمين»[2]، ويقول أيضاً: يقول الرب «أنا هو،

---

(١) أمنحتب الرابع هو (أخناتون)، أي خادم أو ابن أتون وأتون هو إله الشمس، أي القوة الكامنة في الشمس (١٣٧٠ ـ ١٣٥٢ ق. م.).

(٢) مقارنة الأديان اليهودية ـ د. أحمد شلبي ـ ص ١٧٤.

أنا الأول، وأنا الآخر، ويدي أسست الأرض، ويميني نشرت السماء»[1]. ولكن نداءاته لم تجد أذناً صاغية.

وعلى الرغم من أن الديانة اليهودية والنصرانية جاءتا بالتوحيد إلا أنهما انحرفتا عن عبادة التوحيد؛ ولذا كان الإسلام خاتماً لديانات السماء التي نادت بالتوحيد.

وقد واجهت اليهودية والنصرانية الوثنية في عهدها الأول، وقبل الانحراف. جاء في الإصحاح الخامس من سفر التثنية ـ وهو من أهم الأسفار التشريعية عند اليهود ـ : «أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تضع لك تمثالاً منحوتاً صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل، وما في الماء من تحت الأرض، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور»[2]. وكما جاء في العهد القديم: «إن (حزقيا) ملك يهوذا أزال المرتفعات وكسر الأصنام وقطع السواري وسحق حية النحاس. . .»[3].

وقد بقيت في بني إسرائيل عبادة الأوثان بعد دعوة إبراهيم عليه السلام للتوحيد، وتبعه أنبياء بني إسرائيل إلا أنهم يرجعون لوثنيتهم، فقد دعا موسى عليه السلام للتوحيد، ونبذ عبادة

---

(١) العهد القديم ـ الإصحاح ٤٨ ـ ص ١٠٥١.

(٢) العهد القديم ـ الإصحاح الخامس من سفر التثنية ـ ص ٣٨٧ ـ فقرات ٦/٩.

(٣) العهد القديم ـ الإصحاح الثاني عشر من كتاب الملوك ـ ص ١٦١٦ ـ فقرة ٤.

الأصنام، إلا أن قومه عبدوا العجل (أبيس) في سيناء الذي صنعه لهم السامري وحطمه موسى عليه السلام.

وكانت العقائد الإسرائيلية نقطة تحول في العقائد؛ لأنها بدأت بتصور الإله الأعلى في صورة إنسان يأكل ويشرب ويتعب ويستريح ويغار من منافسيه ويخص قبيلته وحدها بالبركة والتشريع. وقرنت هذه الصورة تارة بعبادة الأصنام، وتارة بعبادة الموتى أو ظواهر الطبيعة وتماثيل الطوطم من الحيوانات والنباتات.

أما في النصرانية فقد كانت الأناجيل تقرر أن الله واحد لا شريك له ـ فيقول إنجيل (متى): «إن أباكم واحد الذي في السماء». ويروي إنجيل (مرقص): «الرب إلهنا إله واحد». ثم تقرر الأناجيل أن عيسى رسول الله وليس أكثر من رسول ـ وفي هذا يقول (لوقا) في إنجيله: «قد خرج نبي عظيم» ـ ويقول (يوحنا) عن عيسى) «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق». وكما تقرر الأناجيل أيضاً أن عيسى رسول لبني إسرائيل فقط ـ نجد ذلك في إنجيل (متى) فيقول: «إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة السامريين لا تدخلوا بل امضوا إلى خراف بني إسرائيل».

والقرآن الكريم يقرر هذه الاتجاهات الثلاثة في المسيحية ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٢.

وقال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[1]. ويقول تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[2].

نجد بعد ذلك نقطة خطيرة في التفكير المسيحي وهو الانتقال من الوحدانية إلى التثليث، ونقل عيسى من رسول الله إلى إله، وأنه أنزل لكي يضحي عن خطيئة البشر. وهذا الانتقال مرتبط بشخصية (بولس) «شاؤل» وهو يهودي (فريسي) ظهر بأفكاره الجديدة لتدمير المسيحية وتحطيم معتقداتها، وقد أفلح في ذلك في قوله بتعدد الآلهة، وأن عيسى ابن الله ونزوله للتكفير عن خطيئة آدم ـ وبهذا فهو مؤسس المسيحية الحديثة، والمسيحية بهذه العناصر من صنع هذا الرجل.

وفي هذا الانحراف يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣)﴾[3].

وقد أنكرت (البروتستانتية) ـ أي المحتجين ـ ما تسير عليه الكنائس الأخرى من وضع الصور والتماثيل في أماكن العبادة، واتجاه المصلين لها بالسجود.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٥.

(٢) سورة آل عمران: آيتا ٤٨، ٤٩.

(٣) سورة مريم: الآيات ٨٨ ـ ٩٣.

وهكذا واجهت الأديان الوثنية، وكانت المواجهة الإسلامية حاسمة للوثنية؛ لهذا لم يدخل الإسلام أي انحراف كما دخل الانحراف في العقائد السابقة على الإسلام.

لقد عرفت الجزيرة العربية ديانات متعددة من مزدكية ومانوية ويهودية ونصرانية، وكان العرب يقولون بتعدد الآلهة، وكانت فكرة الألوهية عندهم مادية مجسمة، فكانت دعوة الإسلام قائمة على توحيد الخالق وإنكاراً للتعدد.

والتوحيد أصل لكل الديانات وهو الكلمة التي نادى بها كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه، فالله فرد صمد، لا شريك له في الألوهية، ولا نظير له في الربوبية؛ أحد حق مجيد في ملكوته.

فتتجلى الوحدانية الخالصة في الإسلام وصفات الكمال المطلقة لله، وقد آمن المسلمون الأوائل بالصفات الإلهية دون جدال، وقد حذر الرسول ﷺ من الجدل في الدين والتفكير في الذات الإلهية، لا ضناً بالمعرفة ولكن منعاً لتبديد الطاقات، فهو توجيه للفكر وليس حجراً عليه.

وكان التوحيد مع أول آية نزلت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾[1]. ويتلخص التوحيد في سورة الإخلاص، يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢

---

(١) سورة العلق: الآية ١.

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[1]. ونادى رسول البشرية ورسول الحرية بالتوحيد لتحرير الإنسان من ذل العبودية وإدخاله في ظل الألوهية ـ ومحطم أصنام الوثنية منذ الوهلة الأولى ـ حتى كان فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة؛ حيث حطم الأصنام المنحوتة وغير المنحوتة التي كانت بالكعبة وما حولها، وكانت أكثر من ثلاثمائة وستين صنماً؛ فأمر الرسول ﷺ بتحطيمها وهو يقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» تمثلاً لقول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾[2].

فكان فتح مكة فتحاً للإسلام ونصراً مبيناً ونهاية للوثنية، ودعوة لعبادة الواحد الأحد، يقول جل جلاله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾[3]. فكان عام الفتح نهاية للوثنية؛ وتجسيد الإله في أصنام تقدس وتعبد، ويكون بذلك قد تحرر الفن من الأسر الكهنوتي؛ وبذا أعطى الإسلام الإشارات الأولى لفن سام من خلال التصور الإسلامي للفن، بعد أن بيّن مفهوم الحرام والحلال في زمن اختلط فيه المفهومان.

* * *

(١) سورة الإخلاص: الآيات ١ ـ ٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨١.

(٣) سورة الفتح: الآيات ١ ـ ٣.

المصادر والمراجع العربية والمترجمة

١ ـ إحسان حقي: «منوسمرتي» كتاب الهندوس المقدس ـ دار اليقظة العربية للتأليف والنشر ـ الطبعة الأولى.

٢ ـ أحمد الخشاب: «الاجتماع الديني» ـ مكتبة القاهرة الحديثة، ط ٣ ـ (القاهرة ١٩٧٠ م).

٣ ـ أحمد سوسة: «حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور»، وزارة الإعلام العراقية ـ (بغداد ١٩٧٩ م).

٤ ـ أحمد شلبي: «الإسلام» ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط ٢ ـ (القاهرة ١٩٦٧ م).

٥ ـ أحمد شلبي: «أديان الهند الكبرى» ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط ٣ ـ (القاهرة ١٩٦٩ م).

٦ ـ أحمد شلبي: «الديانة المسيحية» ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط ٦ ـ (القاهرة ١٩٧٨ م).

٧ ـ أحمد شلبي: «الديانة اليهودية» ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط ٢ ـ (القاهرة ١٩٦٧ م).

٨ ـ جواد علي (د): «تاريخ العرب قبل الإسلام» ـ مطبعة الزعيم ـ (بغداد ١٩٦١ م).

٩ ـ حسن سليمان (د): «تاريخ السودان في العصور القديمة» ـ مطبعة الزمان (الخرطوم).

١٠ ـ سليمان مظهر: «قصة الديانات» ـ منشورات الوطن العربي.
١١ ـ الشهرستاني: «الملل والنحل» ـ تقديم عبد اللطيف العبد ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ط ١ ـ (القاهرة ١٩٧٧ م).
١٢ ـ علي عبد الواحد وافي (د): «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام» ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ط ١ ـ (١٩٦٤ م).
١٣ ـ أبو الفيض المنوفي: «الدين المقارن» ـ مطبعة نهضة مصر بالفجالة ـ (القاهرة).
١٤ ـ ابن الكلبي، أبو المنذر محمد ابن الصائب: «كتاب الأصنام» ـ تحقيق أحمد زكي ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ (القاهرة ١٩٢٤ م).
١٥ ـ محمد عبد الوهاب: «كتاب التوحيد» ـ الجامعة الإسلامية ـ ط ٣ ـ (المدينة المنورة ١٣٩٠ هـ).
١٦ ـ محمد عبد الله دراز (د): «الدين» ـ بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ـ دار القلم ـ ط ٣ ـ (بيروت ١٩٧٠ م).
١٧ ـ محمد عبده: «رسالة التوحيد» ـ دار إحياء العلوم ـ (بيروت ١٩٦٩ م).
١٨ ـ موريس بوكاي: «دراسة الكتب المقدسة» ـ دار المعارف ـ القاهرة.
١٩ ـ مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ـ مجمع اللغة العربية ـ (القاهرة ١٩٥٧ م).
٢٠ ـ «مجمع ألفاظ الحضارة الحديثة ومصطلحات الفنون» ـ المطابع الأميرية ـ (القاهرة ١٩٨٠ م).

فهرس المحتويات